

الفصل الثاني:

مفهوم الجنون

- مدخل: مفهوم الجنون.
- المعاني المعجمية للجنون.
- لفظة «الجنون» في الحياة العربية.
- مفهوم الجنون في القرآن الكريم.
- مفهوم الجنون في السنة النبوية.
- الجنون فهم ثقافي / المفارقة للنظام.

«الجنون» في وجهه الثقافي توظيفٌ متحيزٌ لصالح النموذج العالم/المؤسسي أيًا كان مجال حضوره وفاعليته، بصفته: سلاحاً لغويًا، وموقفًا اجتماعيًا، وتحيزاً معرفيًا، يستبطن السلطة لعزل المخالف/المتجاوز/المستغلق ونفيه؛ خارج دائرة العناية والاشتغال؛ أكثر من كونه وصفًا حقيقيًا لنقص في الكفاءة. ف«الجنون» وال«المجنون» كلٌّ منهما أداة مركبة تستبعد ما لا يتفق مع السياقات الرئيسة والهيمنة في الفضاءات السياسية والاجتماعية والفكرية والسلوكية. والعجيب أن الثقافة العالمية برموزها ومفاهيمها وخطاباتها الصاخبة، هي المخولة بإنتاج الجنون! وهي في الوقت نفسه تمارس عليه الهيمنة وتقصيه!

الباحث

مدخل : مفهوم الجنون

على الرغم من الصفحات العديدة التي سودناها في سبيل تحرير مفهوم العقل في التراث العربي؛ تظل محاولة تقديم مفهوم للجنون مهمة ليست باليسيرة؛ إذ ينبغي ألاّ تندفع المقاربة إلى إغراءات التحديد، وتتناسى أنها بإزاء حالة تتحول فيها أية محاولة للتعرف إلى الجنون إلى (عقلته)! وحبسه ضمن إطار ضيق، طالما سعى الجنون في تجلياته المختلفة؛ لاختراقه بكيفيات غير متناهية.

والأصوب -من جهة نظر الدراسة- الاستجابة لطبيعة (الجنون) ومراعاة شرطه الوجودي، بمقاربة المفهوم ثقافياً عبر استقراءات حثيثة، لا تركز الدراسة إليها في صورتها الجزئية المتناثرة كثيراً، بل تحاول جعل هذا الفيضان تدفقاً طبيعياً لا يتلصق حتمية الاعتماد على مفهوم واضح، ولا يندب طبيعة المصطلح الجامحة. التي تميل للانعتاق من الدوائر المحددة، وفي الوقت ذاته تستقري المزاج الثقافي في هذا النثار العجيب. مع التأكيد بأن محاولة تعريف شيء ك(الجنون) صعوبة كبرى لما ينطوي عليه من تناقضات وإشكالات عديدة، لأسباب منها:

• نسبية مفهوم الجنون، فما يكون جنوناً عند جماعة، أو ثقافة، أو حقبة لا يكون كذلك في مكان أو ثقافة أو حقبة أخرى. وهذه إحدى خصوصيات الجنون، التي تجعل مقارنته تنطوي على متاعب ومصاعب جمّة، حتى على الصعيّد الطبي في أدقّ توصيفاته، فهو -أي: الجنون بصفته مرضاً- الوحيد بين الأمراض جميعاً الذي لا ترسم خطوطه، ولا تبرز ملامحه في لقاء خالص مع الطبيعة! إنها تتأكد هويته داخل إطار ثقافي؛ إنه: مرض لا معنى له إلا في إطار ثقافة ما - كما وصفه فوكو في كتابه عن الشخصية والمرض العقلي^(١).

(١) ينظر:

Michel Foucault، *Maladie Mentale et Personnalite*، Paris، P.U.F، 1954، p.66-80
 نقلاً عن: د. محمد علي الكردي، الجنون في الأدب الفرنسي، دراسة منشورة في مجلة عالم الفكر، العدد الأول، إبريل - مايو - يونيو ١٩٨٧ م (ص ٢٠).
 يذكر معجم العلوم الإنسانية أن الأمل بتصنيف الأمراض العقلية تصنيفاً موحداً أمل لا رجاء منه، وذلك لوجود نوع من التواصل بين المرض والحالة السوية، بحيث إن الحدود التي تفصل مرضاً ما عن حالة نفسية طبيعية هي حدود غير واضحة، ثم لأن دراسة أسباب الأمراض العقلية ليست واحدة وهي خاضعة للنقاش، ومن النادر أن نعرف الأشياء التي تتعلق بالأعراض، أو تتعلق بالمرض. وقد ظل السؤال مطروحاً «هل تعتبر الأمراض [العقلية] أمراضاً حقيقية، لا تظهر إلا في مناسبات معينة تاريخية واجتماعية؟» أو هل يعتبر ذلك من صنع الطبيب العقلي، الذي يصنف الأعراض المختلفة ضمن فئة جديدة؟! وهل يعتبر ذلك نوعاً من اتخاذ المريض لنفسه صفة جنون سمع بها، ومعها يتهاهى؟! أو أن الأمر كل ذلك دفعة واحدة؟! معجم العلوم الإنسانية، إشراف: فرانسوا دورتييه، ترجمة: د. جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان - بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م (ص ٩٨٣-٩٨٤).

• أننا نتعامل مع مصطلح في غاية الالتباس والتعقيد، لتعدد مستويات استخدامه، وتنوع مجالات دلالاته؛ ذلك أنّ الجنون ألوان^(١) - كما في منطوق العبارة الـ(سقراط)ية الشهيرة، التي شاعت في التراث العربي شعراً ونثراً بمعناها «الجنون فنون»^(٢)، فالجنون وإن كان مصطلحاً واحداً في الظاهر إلا أنه يميل إلى شبكة دلالية متعددة في الذهن. وحين نتحدث عن الجنون فنحن حتماً لا نتحدث عن مصطلح متجانس، ولا نشير إلى مشهد محدد أو نوع واحد، هذه الإشكالية قد تكون إحدى تجليات الجنون، وأسباب ثرائه، ووسائله الخفية في إيصال خطابه. إذ إن «الجنون في الفن الواحد بين أهله ذو عرض واسع، وبحسب ذلك يتفاوتون التفاوت الذي لا مطمع في تحصيله، كما أنّ العقل بين أصحابه ذو عرض واسع، وبقدر ذلك يتفاضلون

(١) ينظر: عبد الرحمن بن الجوزي، ذم الهوى (ص ٢٨١)، والسراج القاري، مصارع العشاق، دار صادر بيروت، ط ١، ت ١٩٥٨ م (١/١٥، ٦٠)، ومحمد ابن جعفر الخرائطي، اعتلال القلوب، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة الباز، السعودية - مكة المكرمة، ط ١، ت ١٤٢٠ هـ (٢/٣٧٧).

(٢) ينظر مثلاً: عبد الملك الثعالبي، خاص الخاص، تقديم: حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، لبنان - بيروت، ط ١، د. ت (ص ٢٢٠)، وبييمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط ١، ت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م (٥/٢٥٧)، وعبد الوهاب السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ت ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م (٧/٨٢).

التفاضل الذي لا سبيل إلى حصره»- كما يقول أبو حيان التوحيدي^(١).

• قيام الجنون على: الفوضى والاضطراب، وعلى: الانفصام والتمرد، وغير ذلك مما يصعب أن نقرر له وصفاً جامعاً مانعاً؛ ما أدى إلى اضطراب واسع في فهم الجنون ليس قصراً على الثقافة العربية، بل نجد ما هو أشد في الثقافات الأخرى؛ فالجنون في الحضارة الغربية قديماً يتمثل في تسلط قوى خارجية تسلب الإنسان استقلالته وإرادته، وتجعله تجسيداً للشيطان أو الشر، أو محطاً لقوى سماوية خيرة. ولكنه مع ابتداء عصر النهضة في أوروبا أخذ ينأى عن امتلاك الجسد، ويحاول النفاذ إلى عقل الإنسان ليسلبه نعمتي: الحرية والإرادة. وفي القرن الثامن عشر الميلادي يتحول الجنون إلى نوع من الجهل والضلالة يجرمان الإنسان من نور العقل ويجولان بينه وبين السلوك السوي. وهذا هو التصور الذي انتهى إلى حرمان المريض من حريته وحقوقه الشرعية^(٢).

- (١) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، مصورة عن طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر - القاهرة، د. ط. ت (٢/ ٢٠٤-٢٠٥).
- (٢) ينظر: د. محمد علي الكردي، الجنون في الأدب الفرنسي، دراسة - مجلة عالم الفكر (ص ٢٠).

المعاني المعجمية للجنون

أعتقد أن المدخل المعجمي أفضل المداخل لقراءة أوجه الدلالة للكلمة في إطار الثقافة العربية، ومن ثم نحاول إيجاد ذلك الرباط المفقود بين المعاني الجزئية، التي يشير إليها المعجم اللغوي والمعنى العام للجنون في الاستعمالات الثقافية المختلفة. وقد رجعت الدراسة في سبيل تقرير هذا الجانب إلى ستة عشر معجماً، وتجنباً للتكرار، وإثقال الحاشية بالإحالات الجزئية اكتفت الدراسة في هذا البحث بالإحالة العامة للمادة بالجزء والصفحة عند ذكر اسم الكتاب أولاً. وهذه المعاجم هي:

- معجم العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي^(١).
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس^(٢).
- القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروز آبادي^(٣).

(١) ترتيب: أسعد الطيب، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مطبعة باقري، انتشارات اسوه، إيران - قم، ط ١، ت ١٤١٤ هـ (١/٣٢٣-٣٢٤).

(٢) (١/٤٢١-٤٢٢)، مادة (ج.ن.ن).

(٣) ترتيب: طاهر الزاوي (١/٥٣٥-٥٤٢، ٥٤٤)، مادة (ج.ن.أ) (ج.ن.ن).

- معجم جمهرة اللغة، لمحمد بن دريد^(١).
- المحكم والمحيط الأعظم لعلي بن سيده^(٢).
- معجم المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني^(٣).
- معجم الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل الجوهري^(٤).
- معجم أساس البلاغة، لجار الله الزمخشري^(٥).
- العباب الزّاهر واللباب الفاخر، لرضي الدين الحسن الصاغاني^(٦).
- معجم أسماء الأشياء، لأحمد بن مصطفى الدمشقي^(٧).
- معجم الأفعال المتعدية بحرف، لموسى الأحمدي^(٨).
- معجم الفرائد، لإبراهيم السامرائي^(٩).

-
- (١) تحقيق: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، لبنان - بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م (٢/١٠٠٣)، مادة (ج.ن.ن).
- (٢) (٧/٢١١-٢١٩)، مادة (ج.ن.ن).
- (٣) (ص٩٨-٩٩)، مادة (ج.ن.ن).
- (٤) (٥/٢٠٩٢-٢٠٩٥)، مادة (ج.ن.ن).
- (٥) (١/١٥٢-١٥٣)، مادة (ج.ن.ن).
- (٦) تحقيق: د. فير محمد حسن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق - بغداد، ط١، ت١٣٩٨هـ-١٩٧٨م (١/٣٦-٣٧)، مادة (ج.ن.أ).
- (٧) دار الفضيلة، مصر - القاهرة، ط١، د. ت (ص١٢٧-١٢٩).
- (٨) (ص٣٨-٣٩).
- (٩) مكتبة لبنان، لبنان - بيروت، ط١، ت١٤٠٤هـ-١٩٨٤م (ص٥٥-٥٦).

- لسان العرب، لمحمد بن منظور^(١).
 - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد الفيومي^(٢).
 - معجم تاج العروس من جواهر القاموس، لمرتضى الزبيدي^(٣).
 - معجم ألفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، لنوال زرور^(٤).
- وباستقراء معاني المادة في المعاجم العربية نجدها تشير إلى المعاني التالية:

المعاني الجزئية:

١. السَّتْرُ والتَّسْتُرُ:

قال ابن فارس: «الجيم والنون أصل واحد، وهو السَّتْرُ والتَّسْتُرُ»، فأصلُ الجَنِّ إذاً: سَتْرُ الشيء عن الحاسة، يقال: جَنَّ الشيء يَجُنُّه جَنًّا فَجَتَنَّ: أي: ستره فاستتر. وكل شيء سُتِرَ عنك: فقد جَنَّ عنك. والجَنِينُ: كلُّ مستور، ومنه حَقْدُ جَنِينٍ، ووضَعُ جَنِينٍ: أي: مستور. والولد ما دام في بطن أمه؛ فهو: جَنِينٌ، واجتَنَّ الولد في البطن، وأجنته الحامل. والجَنَّةُ: البستان ودار النعيم في الآخرة؛ من الاجتنان، وهو: الستر لتكاثف أشجارها وتظليلها

(١) (١٣/٩٢-١٠١)، مادة (ج.ن.ن).

(٢) (١/١١١-١١٢)، مادة (ج.ن.ن).

(٣) (٣٤/٣٦٤-٣٨٢)، مادة (ج.ن.ن).

(٤) مكتبة لبنان ناشرون، لبنان - بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.

بالتفاف أغصانها، أو لاستتارها عن الناس في الدنيا، أو اسم مرة من مصدر: جَنَّهُ جَنًّا إذا ستره، وقيل: لا تكون الجَنَّة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب، وإلا فهي حديقة.

والجَنُّ بالفتح، والمُجَنَّةُ: حُفْرَةُ القبر. وكل ما أَجَنَّكَ فهو جَنٌّ لك أيضاً. والجُنُّ: جمع جُنَّة، وهو ما استترت به، وأجنتُ الشيء في صدري: أكننته، واستَجَنَّ مَجَنَّةً: استتر بها، والمَجَنُّ والمَجَنَّةُ: التَّرسُّ، ووشاح المرأة، وخرقة تغطي من رأسها ما قَبْلَ ودَبْرَ، وما يُسْتَجَنُّ به. والجَنَانُ بالفتح: القلب؛ يقال: فلان ضعيف الجَنان أي: القلب، سمي بذلك لاستتاره في الصدر، وقيل: بل لوعيه الأشياء وجمعه لها، ويقال للروح: جَنَانٌ؛ وقيل: سميت الروح جَنَانٌ؛ لأنَّ الجسم يجنُّها، أي: يسترها. ويقال: ما عَلَيَّ جَنَانٌ إلا ما تَرَى، أي: ثوبٌ يواريني. والجُنُونُ: حَائِلٌ بين النفس والعقل، سمي به لأنه يغطي العقل؛ فيؤدي إلى زواله أو فساده، والمجنون: المغطى العقل. والعرب تعتقد أن مرض الجنون يكون وراءه قوى خفية من جنٍّ وغيرهم، فكانها تدخل إلى رأس المجنون وتسلبه عقله.

والمعاجم تنبه إلى فكرة لطيفة في هذا الصدد، هي: أن مادة (ج. ن. ن.) تشير إلى الوقاية أو التوقي بصفته أصلاً ملازماً لعملية الستر أو الاستتار، فالجُنَّةُ: الوقاية، وكل ما وقى فهو: جُنَّةٌ، وفي الحديث: «الصوم جنَّة»، أي: يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات، وفي الحديث أيضاً: «الإمام جُنَّةٌ»؛ لأنه يقي المأموم الزلل والسهو. وكل ما وقى

أو توقِّي به فهو: جُنَّة.

وتورد المعاجم أيضاً صيغاً تشير بوضوح إلى تصنع حالة الاستتار على مستوى الجانب المعنوي لا الحسي، إذ نقول: تَجَنَّنَ، وَتَجَانَنَ، وَتَجَانَّ: أرى من نفسه أنه مجنون.

٢. كل ما لا تدركه الحاسة :

كل جوف لا تراه فهو: جَنَانٌ، ولا جِنَّ بكذا: أي: لا خفاء به. والجَانُّ: أبو الجن، خلق من نار ثم خلق منه نسله، كآدم بالنسبة للبشر، وقيل: اسم جمع كالجامل والباقر، والجَنَّة: جماعة من الجن، وهم: أجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية أو الهوائية^(١)، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، لها عقول وأفهام وقدرة على الأعمال الشاقة^(٢). سمو اب(الجنُّ) لأنهم غير مدركين بالحاسة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرِنُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرُونَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

ولفظه الجِنُّ تقابل لفظه (الإنس) وهي: كل مانوس إليه يُبصر، قال الأزهري: «أصل: الإنس، والأنس، والإنسان، من الإيناس وهو الإبصار، ويقال: أنسته وأنسته أي: أبصرته. وقيل للإنس: إنسٌ لأنهم يؤنسون أي: يبصرون»، وقال الواسطي: «سَمِّي

(١) ينظر: أبو البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م (ص ٣٥٠-٣٥١).

(٢) ينظر: أبو البقاء الدميري، حياة الحيوان الكبرى، مطبعة الباي الحلبي، مصر - القاهرة، ط ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م (١/٢٥٧).

الإنسيون: إنسيين لأنهم يؤنسون، أي: يرون. وسُمي الجنُّ: جنًّا؛ لأنهم مُجتنون عن رؤية الناس، أي: متوارون).

لذلك أطلق القرآن الكريم لفظة الجنَّة على الملائكة، إذ قال: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصفات: ١٥٨]، يعني الملائكة، فالعرب يقولون إن الملائكة هم بنات الله - تعالى الله وتبارك - يقول الراغب الأصفهاني: «الجنُّ يقال على وجهين: أحدهما للروحانيين المُستترِّة عن الحواس كلها بإزاء الإنس، فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين، فكل ملائكة جنُّ وليس كل جنِّ ملائكة».

٣. الظلمة والسواد:

الجنان: الليل، ويقال: جنُّ الليل، وجُنُونُهُ، وجَنَانُهُ: سواده، وشدة ظلمته، وقيل: اختلاط ظلامه وادلهامه. وجَنَّ عليه الليل وأجَنَّهُ: إذا أظلم عليه؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ أَيْلٌ﴾ [الأنعام: ٧٦]، وقول ابن الوردي:

لَمَّا اللهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ

مُصَافِي الْمُشَاشِ أَلْفَا كُلِّ مَجْرَرٍ^(١)

ولعلَّ منه قولهم عن المجنون: مدعوجٌ، وعن الجنون: الدعجاء؛

(١) ينظر: عبد الملك بن قريب الأصبغي، الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر - القاهرة، ط ٧، ت ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م (ص ٤٥).

إذ الدَّعج: شدة السواد. وَجِنُّ النَّاسِ وَجِنَانُهُمْ: مُعْظَمُهُمْ، وقال ابن الأعرابي: جِنَانُ النَّاسِ: جَمَاعَتُهُمْ وَسَوَادُهُمْ.

٤. الانجذاب إلى الشيء والتعلق به :

جُنَّ فلانٌ بكذا إذا أعجبه وتعلق به، وفي الأثر: «اللهم إني أعوذ بك من جنون العمل»، أي: الإعجاب به. ومنه قولهم: جُنَّ بها أي: تعلقَ بها؛ «والتعبير بالجنون عن كثرة اللهج بالشيء وفرط الميل إليه مستفيض»^(١).

٥. حدثان الشيء وشدته:

وَجِنُّ الشَّبَابِ، وَجِنُّ المَرِحِ: جَدَّتْهَا وَنَشَاطُهَا، وَجِنُّ كلِّ شَيْءٍ حَدَثَانُهُ وَأَوَّلُ شِدَاتِهِ. وَجِنُّ الذَّبَابِ وَجُنُونُهُ أَي: كَثُرَ صَوْتُهُ وَتَرْنَمُهُ. وَجِنُّ النَبْتِ: زَهْرُهُ وَنَوْرُهُ، وَجِنُّ النَبْتِ: غَلْظٌ وَاكْتِهَالٌ، وَنَبْتُ مَجْنُونٍ: كَثِيفٌ مَلْتَفٌ تَأَزَّرَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ، وَنَخْلَةٌ مَجْنُونَةٌ أَي: شَدِيدَةُ الطُّوْلِ. وَقَدْ تَجَنَّنَتِ الأَرْضُ وَجُنَّتْ جُنُونًا، وَهِيَ مَجْنُونَةٌ إِذَا كَانَتْ مَعْشَبَةً لَمْ يَرَعْهَا أَحَدٌ، وَبَاتَ فُلَانٌ ضَيْفَ جِنٍّ، أَي: بِمَكَانٍ خَالٍ لَا أُنَيْسَ بِهِ، وَيُقَالُ: كَانَ ذَلِكَ فِي جِنِّ صِبَاهُ، أَي: فِي حَدَاتِهِ، وَكَذَلِكَ: جِنُّ كلِّ شَيْءٍ أَوَّلُ ابْتِدَائِهِ، يُقَالُ خُذِ الأَمْرَ بِجِنِّهِ، وَاتَّقِ النَّاقَةَ فَإِنَّهَا بِجِنِّ ضَرَّاسِهَا أَي: بِحِدَاتِهَا نِتَاجِهَا.

(١) عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر - القاهرة، ط ٤، ت ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م (١٧٨/١٠ - ١٧٩).

٦. الاضطرابُ والخَفَّةُ أو سرعة الحركة:

والجانُّ أيضاً ضرب من الحيات أكحل العين يضرب إلى الصفرة لا يؤذي، يسكن بيوت الناس، وقيل لها جَانٌّ: تشبيهاً له بالواحد من الجَانِّ، وهو الجِنُّ، وجمعه جِنَانٌ. ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَتَّتْ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا﴾ [النمل: ١٠]، أي: تتحرك كالحية، وقيل: شبه خفة حركتها بحركة الشيطان. قال الشاعر يصف جداول الماء:

كأن بها من شدة الجري جنة

وقد ألبستهن الرياح سلاسلًا^(١)

الدلالة المعجمية العامة:

هذا إحصاء موسع بعض الشيء بما نهبت إليه المعاجم العربية بخصوص مادة (ج. ن. ن) وبناء على ما تقدم فإن لفظة «الجنون» في المعجم العربي تحيل إلى معانٍ جزئية عديدة يمكن أن نكتنفها جميعاً بالخروج من المعاني الجزئية المتناثرة للتركيز على الدلالات العامة المشتركة، والتي تنتقل إلى الاستخدام العام في الحياة الاجتماعية والمعرفية جميعاً، حيث تفقد تلك المعاني حضورها الجزئي لصالح تلك الدلالات العامة. هذه الدلالات يمكن أن نكتنفها في الثالث الآتي:

(١). الخفاء.

(١) جار الله الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار (١/١٩٢).

(٢). المغايرة.

(٣). العنفوان.

فكل ما ذكره المعجم العربي يمكن إخضاعه لهذه الدلالات الرئيسية الرامزة. تارة تتقدم دلالة المغايرة وتارة تتقدم دلالة الخفاء والعكس، إلا أن حضور كلٍّ منهما لا بد أن يكون مرتبطاً بحضور الآخر، ولا بد أن يكون هذا الحضور قوياً في نفسه! وتلك القوة هي ما عبّرنا عنه في الدلالة الثالثة بـ«العنفوان».

وبدون تلك القوة يتراجع وصف الجنون لصالح أوصافٍ أُخر من أوصاف النبذ والإقصاء. ولكن إذا تجاوزت الدلالات الثلاث فإنها ترسم منطقة الجنون في الثقافة العربية، التي تقبع -بطبيعة الحال- خارج قيد المأنوس: المتعارف عليه، والممارس، أو الوعي الذي عَقَلَهُ الإنسان ثم أنس إليه.

لفظة «الجنون» في الحياة العربية

إذا جاوزنا المعاجم اللغوية إلى النسيج اللغوي الحيّ في الاستخدامات اللغوية العامة، نستحضر من خلالها تنزيل الألفاظ على الأشياء، ودورانها في الحياة والموضوعات المختلفة، والتي تعكس المفاهيم الاجتماعية والثقافية: في التداول الحيّ بعيداً عن توقع «التحكم» الدلالي، والحديث في المعاجم؛ فإننا نجد الجنون جزءاً من الحياة، متغلغلاً ضمن نسيج التعاطي اليومي للمجتمع العربي، بحيث أصبح البحث عن مفهوم عام له يقود إلى تأمل الإنسان نفسه وعلاقته مع ما حوله.

ففي المروي عن العرب، وفيما جرى مجرى الطبع والسجية من كلام العلماء يسري الجنون وصفاً تجاه من زال عقله أو بعضه على وجه الحقيقة، سواء أكان ذلك بفعل تلبس الجن بالإنسان، الذي يكون بسبب السحر، أو العشق، أو العين... إلخ^(١)، أم كان ذلك

(١) ينظر: الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م (٦/١٩٥، ٢١٦-٢١٧)، ومحيي الدين النووي، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، سوريا - دمشق، ط ١، ت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م (ص ٤١)، ود. جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، العراق - بغداد، ط ٢، ت ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م (٦/٧٠٨-٧١٣، ٧٢٣-٧٢٤، ٧٢٤-٨٠٩، ٨١٣).

بفعل آهتهم - كما يعتقدون - فتغيب عقله، وتجعله مضطرباً متردداً منعزلاً. فقد كان الجاهليون يعتقدون أنها قد تتسلط على الإنسان إذا عرض لها بأذى أو غفل عن تأدية ما لها عليه من الحقوق. وكانوا قبل الإسلام يقدمون القرابين إلى آهتهم لترضى عن المجنون وترفع ما نزل به^(١). وكانوا يلتمسون له الرقى والتعويذات، ويتعلقون التمام أو الودع لطرده الجن ودفع أذيتهم عن الأفراد^(٢)، وبعض هذه الممارسات يرافق العربي إلى اليوم.

وقد فطن العرب إلى أن سلوك الشخص وما يعرض له من حوادث طبيعية، أو نفسية، أو خلل عضوي قد يتسبب في إزالة عقله جزئياً أو كلياً، لبعض الوقت ثم يفيق، أو دائماً مدى الحياة؛ ولذلك جعلوا دواءه بالطب العضوي بالأعشاب التي تعرفها أرض الجزيرة العربية، أو ببعض الأطعمة التي تصنع لذلك، ومنعوا المجنون من أطعمة ومأكول آخر لأنها بزعمهم تورث الخبال والجنون^(٣)، كما ربطوا بين المرض العضوي وبين الانحرافات التي تتعلق بالأفكار والتصورات من خلال الحديث على اختلال المخيلة واضطراب علاقة الإنسان بالخيال^(٤).

(١) ينظر: د. جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٦/ ١٨٠-١٨١، ١٨٣).

(٢) ينظر: د. جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٦/ ٧٤٥-٧٤٦).

(٣) ينظر: د. جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٨/ ٤٠٩-٤١١)، وينظر: د. أحمد الخصوصي، الحمق والجنون في التراث العربي من الجاهلية إلى أواخر القرن الرابع، (الفصل الرابع، ص ١٢٤-١٣٢).

(٤) ينظر: أبو البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ص ٣٤٩).

غير أن الجنون كثيراً ما يتجاوز هذا المعنى الأولي، إلى دلالات أُخر أكثر في الاستعمال من هذا المعنى المحدد، إذ يطلق أيضاً الجنون على كل شخص أو عمل اتصف بصفات تجعله: غير متوافق مع محيطه الاجتماعي أو تجعل من فعله أو قوله أمراً غير متوقع، (غير مقبول - غير سائغ)، وإن كان الشخص في ذاته عاقلاً، أو كان العمل صادراً عمّن عرف بعقله وإدراكه؟! أي: بأن يكون حالة من حالات النشاز عن السياق الاجتماعي بما فيه من محترّات؛ فمثلاً عدوا من قبيل الجنون:

أن يكون في سلوك الأفراد أو مقولهم ما يشي بشيءٍ من: الاضطراب أو التناقض، أو مخالفة الصورة المتوقعة منهم^(١)، أو بالتردد الفاحش بين القوة والضعف، أو العلو والنزول^(٢)، أو بالغلط في التقسيم المنطقي^(٣)، أو بعدم التمييز بين ما يوصف

(١) «قال يحيى بن أكرم: أدخلت علي بن عياش على المأمون؛ فنبسم ثم بكى! فقال: يا يحيى أدخلت عليّ مجنوناً؛ فقلت: أدخلتُ عليك خيرَ أهل الشام، وأعلمهم بالحديث، ما خلا أبا المغيرة»، فقد قاس المأمون سلوك ابن عياش على سلوك المجانين، لما رأى منه في الظاهر اضطراباً غير متوقع. أبو الحجاج المزني، تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م (٢١/ ٨٤)، وشمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط١، ١٣٧٤هـ، (ص ٣٨٤-٣٨٥).

(٢) وصف المعتمد بن عباد بأنه: «مجنون الكلام، تارة تبدو لك منه بلاغة قس، وتارة يلقاك بعي باقل؛ تحريف كثير في المعاني، وإحالة في الوضع، وغلط في السجع، وشروء عن الطبع». أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة (١/ ٦١-٦٢).

(٣) سأل كيسان مستملي ابن الأنباري خلفاً الأحمر؛ فقال له: «يا أبا محرز! علقمة بن =

بالحسن أو بالقبح^(١)، أو الإعراض عن اهتمامات الناس والجهل بها^(٢)، أو بالانجذاب إلى الشيء انجذاباً مبالغاً فيه، والإعجاب به، سواء أكان ذلك المتعلق به عملاً أو رأياً^(٣)، أو غير ذلك كالعشق^(٤) الذي يجعل صاحبه يتعلق بمحبوبته تعلقاً يشغله عن واجباته الاجتماعية، ويصرفه عن رؤية عيوب المعشوقة، ويلهيه عن سائر الحقوق سواها^(٥)، أو بالغياب عما يحيط بالفرد في استغراق عميق من

= عبدة جاهلي أو من بني ضبة؟ فقال له خلف: يا مجنون صحَّح المسألة حتى

يصحَّح الجواب». أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر (٨/ ١٩٧).

(١) «الحاسد مجنون، لأنه يحسد الحسن والقيبح!». الجاحظ، رسائل الجاحظ (١/ ٣٤٥).

(٢) «كان ابن أبي مالك بالكوفة، وكان معتوهاً ذاهباً، لا يعرف ما الناس فيه». الحسن

ابن إسماعيل الضراب، عقلاء المجانين والموسوسين، تحقيق: إبراهيم صالح، دار

البصائر، سوريا - دمشق، ط ١، ت ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م (ص ٢٦).

(٣) في الأثر: «لو أصاب ابن آدم في كلِّ شيءٍ جُنَّ»، أي: أعجب بنفسه حتى يصير

كالمجنون من شدة إعجابه. وفي الأثر الآخر: «اللهم إني أعوذ بك من جنون العمل»،

أي: من الإعجاب به. المبارك بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٠٩).

(٤) عرّف ابن سينا وغيره من الأطباء العرب العشق بأنه: «مرض وسواسي شبيه

بالماليخوليا، يجلبه المرء إلى نفسه بتسلط فكرته على استحسان بعض الصور

والشئائل، وقد تكون معه شهوة جماع وقد لا تكون».

محمد صديق خان، نشوة السكران من صهباء تذكّار الغزلان، اعتنى بنشره: محمد

الكتبي، المطبعة الرحمانية، مصر - القاهرة، ط ١، ت ١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م (ص ٤).

(٥) تسمي العرب العشق جنوناً، والعاشق مجنوناً، وتعدّ جنون الهوى جنون الجنون!

قال عبد الله بن المعتز:

بي جنون الهوى، وما بي جنونٌ و جنون الهوى جنون الجنون

وحكي عن الأصمعي أنه قال: لقد أكثر الناس في العشق، فيما سمعت أوجز ولا

أجمل من قول أعرابية، وقد سئلت عن العشق؛ فقالت: «ذلّ و جنونٌ!». =

التفكير، أو بالذهول والشروء الذي يصرف الإنسان عما حوله^(١)، أو بما يعرض للأفراد من الانقطاع عن العالم بالصرع أو الإغماء^(٢).
وعدّو الحركة الكثيرة، والنشاط الزائد سواء كان ذلك في الإنسان أو في غيره من الجنون، كما قال الشاعر يصف سرعة تدفق الجداول بالماء:

كأن بها من شدة الجري جنة

وقد ألبستهن الرياح سلاسل^(٣)

- = شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: د. مفيد قمبيحة ود. يوسف الطويل وآخرين، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط ١، ت ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م (١٤٢/٢)، وعبد الرحمن بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط ١، ت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م (١٣/٨٦).
- (١) «ربما كان يأخذ سفيان [الثوري] في التفكير فينظر إليه الناظر فيقول: مجنون».
- أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/٣٩٢).
- (٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لقد رأيتني وإني لأختر فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم و حجرة عائشة من الجوع مغشياً علي، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي يرى أن بي الجنون، وما بي جنون وما هو إلا الجوع»، وفي الأثر: «كان يخرّ رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة، حتى يقول الأعراب: مجانين أو مجانون». المجانين: جمع تكسير لمجنون، وأما مجانون فشاذ، كما شد شياطون في جمع شيطان. محمد بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق: إبراهيم عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر - القاهرة، ط ١، ت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م (٤/٥٨٣)، برقم (٢٣٦٧)، والمبارك بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٣٠٩).
- (٣) ينظر: جاز الله الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار (١/١٩٢)، وعرض =

أو بأن تكون استجابات الفرد وردود أفعاله مبالغاً فيها، أو مندفعة، أو غير متوازنة؛ ولذلك وصفت بعض حالات الإنسان الطبيعية التي تتتابه من وقت لآخر بالجنون، كالغضب والغيرة والشهوة والخوف والجوع^(١)، أو الطرب لدى بعض الناس. وقد وصف صاحب الإمتاع والمؤانسة ما يصيب ابن غيلان البزاز إذا سمع غناء «بلور» وصفاً عجيباً؛ فقال: «إنه إذا سمع هذا منها انقلبت حمالق عينيه، وسقط

= البغداديُّ لببت روبة بن العجاج، في وصف حمار الوحش:
 أحقب كالمحلج من طول القلق كأنه إذ راح مسلوس الشمق
 فقال: «يقول: كأن هذا الحمار الأحقب كالأ من كثرة حركته؛ فحين أراد الرجوع إلى مأواه نشط شوقاً إليه فكأنه: مجنون نشاط زال جنونه، ومريض شوق ذهب داؤه. والتعبير بالجنون عن كثرة اللهج بالشيء، وفرط الميل إليه مستفيض». وقال الجاحظ معلقاً على قول الشاعر:

وداويةٍ سبب سملق من البيد تعزف جنائها
 قطعتُ بعيرانيةً كالفنيه تق يمرح في الآل شيطانها

قال: «جمع في هذا البيت تثبيت عزيز الجن، وأن المراح والنشاط والخيلاء والغرب هو شيطانها».

الجاحظ، الحيوان (٦/١٨٤)، وعبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب باب لسان العرب (١٠/١٧٨-١٧٩).

(١) قال سهل بن هرون ثلاثة يعودون الى أجن المجانين وان كانوا اعقل العقلاء: الغضبان، والغيران، والسكران...»، وفي رواية أخرى: «قال سهل بن هارون: ثلاثة من المجانين، وإن كانوا عقلاء: الغضبان، والغرثان والسكران». الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر - القاهرة، ط٧، ت١٤١٨هـ-١٩٩٨م، (٢/١٩٥)، الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم (٣/٦٥)، وينظر: د. أحمد النخصوصي، الحمق والجنون في التراث العربي من الجاهلية إلى أواخر القرن الرابع (ص٤٧-٤٩).

مغشياً عليه، وهات الكافور..، وماء الورد..، ومن يقرأ في أذنه آية الكرسي..، والمعوذتين..، ويرقى: بهيا شراهما^(١).

كما وصف بالجنون بعض مراحل الإنسان الفسيولوجية التي يجتازها في نموه كسنوات الصبا والشباب؛ فقليل: «الشباب شعبة من الجنون»^(٢)، وكذلك يوصف بالجنون كل ما كان له صفة الغرابة والوحشية^(٣).

وكل ما كان متجاوزاً (خارجاً عن حدود) الوصف المعهود حسناً أو قبحاً، علواً أو ارتفاعاً^(٤)، وكل سلوك أو فعل جرى على

(١) أبو حيان التوحيدي (٣/١٦٦-١٦٧)، وهيا شراهما: كلمة عبرانية يرقى بها، وتعني: يا حي يا قيوم.

ينظر: محمد الأزهري، تهذيب اللغة (٦/٥٣)، ومحمد ابن منظور (١٣/٥٠٦)، مادة (ش.ر.ه).

(٢) جاء في خطبة ابن مسعود المشهورة: «الشباب شعبة من الجنون»، قال الزمخشري: «والمعنى أن الشباب شبيهة بطائف من الجنون؛ لأنه يغلب العقل بميل صاحبه إلى الشهوات غلبة الجنون».

جار الله الزمخشري، الفائق في غريب الحديث (٢/٢٥١).

(٣) منه قول الشاعر:

ولقد نطقت قوافياً إنسيّةً ولقد نطقت قوافي التّجنيّن

قال السكري: أراد الغريب الوحشي.

ينظر: علي بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (٧/٢١٤)، ومحمد بن منظور، لسان العرب (١٣/٩٥).

(٤) من ذلك قول المقنع الكندي:

وفي الطّعائِن والأحداجِ أملحُ من حلَّ العراقِ وحلَّ الشامِ واليمنا
جنّيةً من نساءِ الإنسِ أحسنُ من شمسِ النَّهارِ وبدرِ اللَّيلِ لو قُورنا
مكتومةٌ الذكرِ عندي ما حييتُ لها وقد لعمرى مللتُ الصّرمَ والحزنا

غير المتوقع من صاحبه، أو عجز المتلقي عن فهمه؛ فإنه يمكن وصفه بالجنون^(١)!

وقد ظهر لنا - فيما مضى - أن العقل ممارسة مرتبهة لقيم وأعراف وانتهاءً عما يُعارضها، وكذلك يتبدى لنا الجنون في صورة انتهاك لمحدورات أخلاقية أو عرفية يجب احترامها، أو مجافاةً لمكارم وقيم مستقرّة ومحترمة في العقد الاجتماعي يجب حفظها:

قال أبو شريح الكعبي: «من رأني ألاحى ختناً لي أفرشني كريمته، وأفرشته كريمتي؛ فأنا يومئذ مجنون فاكووا رأسي. ومن رأى لأبي شريح جدياً أو لبناً يباع في السوق فهو نهب. ومن رأى أجادل جاراً لي في لبنة؛ فأنا مجنون فاكووا رأسي. قال: فاختره جار له، يقال له: عجرفة؛ فأخذ من داره عشرة أذرع، فقالوا له:

= وقال الشنفرى:

فدّقت وجلّت واسكرت وأكملت فلو جُنَّ إنسان من الحسن جُنّت

قال ثعلب: «يقال: إن الحسان تتبعهم الشياطين».

ينظر: الجاحظ، الحيوان (٦/١٨٦-١٨٧)، وأحمد بن يحيى ثعلب، مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر - القاهرة، ط ٢، ت ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م، ق ٢/ (٨/٣٥٨).

(١) قال الجميح الأسدي:

أمست أمانة صمتاً ما تكلمنا مجنونة أم أحست أهل خروب

استنكر خلق زوجته أمانة ونشوزها، فهو يتساءل هل جنت أو أن أحداً من أهلها قد أفسدها.

ينظر: الفضل الضبي، المفضليات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، ط ٣، ت ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م (ص ٣٤).

يا أبا شريح إنه قد أخذ من دارك عشرة أذرع، فقال: هو أعلم.
قال: فرده عليه جاره بعد، ورجع إلى حقه»^(١).

وكان حسين بن فهُم يقول:

«أشهدوا عليَّ بأنني منذ فعلت خلة من ثلاث خلال فأنا مجنون:
إن شهدت عند الحاكم، أو حدثت العوام، أو قبلت الودیعة»^(٢).

وكل ما ليس له: نهج منضبط، ونظام مطرد؛ يخرجانه من
صورة الاختلاط والتداخل، ويميزانه عن غيره ويوضحانه، أو
يجمعان شتاتهما، ويؤلفان بين متنافره؛ يؤول إليهما في نظر الرائي؛ فهو
حالة من حالات الجنون؛ ولو كان هذا الشيء لا يعقل على وجه

(١) سليمان بن أحمد الطبري، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة
الزهراء، العراق - الموصل، ط ٢، ت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م (٢٢ / ١٨١)، برقم (٤٧٤).

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (٣ / ١١٥٣)،
ترجمة رقم (٣٩٩)، والخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد)،
تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، لبنان - بيروت، ط ١،
ت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (٨ / ٦٥٧)، ترجمة: الحسين ابن فهُم برقم (٤١٤٣).

والحسين بن فهُم، من رواة الآثار والأخبار، سمع عن كثير؛ منهم: محمد بن
سلام الجمحي، وصف بأنه عسر الرواية متمنعاً إلا لمن أكثر ملازمته، وأكثر
ما كتبه عنه على سبيل المذاكرة، ومن روى عنه أبو الفرج الأصفهاني. وصف
في كتب الأدب بأنه: ثقة عدل، وفي كتب الآثار بأنه ليس بالقوي، توفي
(ت ٢٨٩هـ) وضبط اسمه في المرجعين السابقين فهماً وهو خطأ، وهو على =
= التحقيق فهُم. ولذلك قصة. يراجع: ياقوت الحموي، معجم الأدباء إرشاد
الأريب إلى معرفة الأديب (٣ / ١١٥٣)، والخطيب البغدادي، تاريخ مدينة
السلام (تاريخ بغداد)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي.

الحقيقة، كالأداء الكتابي/ الخط، يُقال: «خط مجنون! لا يُدرى ألف أم نون»^(١)، أو كان معرفة خالصة؛ فإذا آل أمره إلى البيان والانتظام في نظام منضبط مطرد فهو «عقل»؛ فقد قيل في وصف النحو: «ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله»^(٢).

وكل ما التبس على الناس، أو استغلق عليهم فهمه، أو جرى على غير ما هم عليه في هيئته أو قوله أو سيرته أو قدرته، فإنهم ينسبونه إلى الجنون؛ فمن ذلك وصفهم لمقام النبوة بالجنون، وللنبي ﷺ بالمجنون؛ لأنه ينبتهم بما يجهلون من الغيب، أو لأنه يقرر شريعة تخالف ما هم عليه من عرف وإلف. ومنه أيضاً وصفهم للشاعر بالجنون، لأنه يجري في أحواله وأقواله على غير ما عليه سائر الناس، أو لأن الطرب يستخفه والغضب يستفزه، أو لأنه ذو قدرات تأثيرية عجيبة، أو لأنه يخلط بين عالم الحقيقة وعوالم الخيال، أو لأنه لا حدود لمدركاته ولا ضوابط لاستدلالاته. وهذا يقدم الإشارة بشيء من السمات العامة

(١) عبد الملك الثعالبي، سحر البلاغة وسر البراعة، ضبطه وشرحه: عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط ١، د. ت (ص ٥٤)، ويُنظر: كتابه: لباب الآداب، تحقيق: أحمد حسن لبح، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط ١، ت ١٤١٧هـ - ١٩٨٧م (ص ٧٣).

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأديباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (٦/ ٢٥٣٥)، وجلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لبنان - بيروت، ط ٢، ت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (١/ ١٠٩)، وصديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم: الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط ١، ت ١٩٨٠م (٣/ ٤٣).

للجنون، فهو المضطرب، والمخالف، والغريب، والشاذ، والمتردد بين أحوال متباينة. وهذه الأوصاف لا تتحقق إلا إذا جاءت في سياقات ثقافية مجللة بـ:

- الممارسة المطردة والانسجام الظاهري.
- والسلطة التي تُعَيَّن «الكَوْن العاقل» بصفته نموذجاً للجودة-الفضيلة، وتلفظ ما خلافه إلى دائرة الجنون.

مفهوم الجنون في القرآن الكريم

جاءت صفة الجنون في عشرين آيةً في أربع عشرة سورة من القرآن الكريم^(١)، هذا بعد تجاوز الآيات التي اختلف المفسرون في تأويلها فخرجها بعضهم على معنى غير الجنون، مثل قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّنَّا وَحِدًا نَنْتَعِبُهُ إِنَّا لَلْفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ [القمر: ٢٤] وقوله: ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ [القمر: ٤٧]، فقد ساق أبو الحسن الماوردي في قوله: ﴿وَسُعْرٍ﴾ خمسة تأويلات، وهي: الجنون، والعناء، والافتراق، والتهيه، ووقود النار^(٢). إلا أن ذلك التواتر لا

(١) ينظر: د. أحمد الخصوصي، الحمق والجنون في التراث العربي (ص ٦٠)، هامش رقم (١٥)، غير أنه لم يحص سوى ١٨ آية فحسب، والآيات بحسب إحصاء د. الخصوصي، هي: الآية ١٨٤ من سورة الأعراف، والآية ٦ من سورة الحجر، والآيتان ٢٥، و٧٠ من سورة المؤمنون، والآية ٨ من سورة الفرقان، والآية ٢٧ من سورة الشعراء، والآيتان ٨، و٤٦ من سورة سبأ، والآية ٣٦ من سورة الصافات، والآية ١٤ من سورة الدخان، والآيتان ٣٩، و٥٢ من سورة الذاريات، والآية ٢٩ من سورة الطور، والآية ٩ من سورة القمر، والآيات ٢، و٦، و٥١ من سورة القلم، والآية ٢٢ من سورة التكوير.

(٢) ينظر: التكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية/ مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان - بيروت، ط ١، ت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م =

يعني أن الجنون «غدا من الموضوعات المركزية، التي تُطرق لذاتها فتتناول بالعرض والتحليل وتستقصى من جميع جوانبها ثم تقوم وتقيّد بالقيود وتضبط بالأحكام» - كما يقول الخصوصي^(١) - غير أننا نلاحظ أن موضوع الجنون جاء في معرضين:

أحدهما: معرض الادعاء والاثام؛ حكى فيه القرآن الكريم على ألسنة أعداء الرسل من أقوامهم أنهم رموهم بالجنون.
والمعرض الثاني: أتى فيه الجنون في سياق نفي هذه التهمة عن الرسل وتبرئتهم منها.

ولم ينفرد الرسول الكريم محمد ﷺ بهذه التهمة كما لم تكن قريش بدعاً من الأمم في ذلك الاتهام، فقد أتهم كل من نوح وموسى. والقرآن الكريم يذكر أن جميع الأمم المكذبة بدعوة الرسل، قد وصفت رسلها بمثل ذلك، حتى إنه ليخيل للسامع أن الأمم قد تواطأت على ذلك، وأن بعضهم أوصى بعضاً. وهو أمر يدعو إلى العجب والحيرة، ولا سيما أن تلك الأمم لم يجمعها زمان ولا مكان واحد؛ فكيف تواصلوا به وتفقوا عليه؟! لكن حين لم يجمعهم الزمان والمكان؛ جمعهم جميعاً تجاوز حد الاعتدال والطغيان. والطغيان تجاوز الحد، ولا يكون الطغيان إلا مع القوة والنفوذ (= السلطة)؛ وكثيراً ما تغري القوة والنفوذ أصحابها والمتفعين بهما بمدّ سلطتهم؛

= (٥/ ٤١٥). وينظر: إسماعيل الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٦٨٤-٦٨٥)، ومحمد بن منظور، لسان العرب (٤/ ٣٦٥-٣٦٦).
(١) ينظر: د. أحمد الخصوصي: الحمق والجنون إلى نهاية القرن الرابع الهجري (ص ٦١).

عبر استقطاب الأشياء إلى النظام الذي يوفر لهم هذه السلطة ويسوغ هيمنتها؛ أو يدفعون به عنوة لابتلاع كل شيء، وتوسيع هيمنته إلى آفاق واسعة فيها تجاوز لاعتبارات الحرية وحقوق الآخرين، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّنٌ ﴿٥٢﴾ اتَّوَصَوْا بِهِ ۗ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣].

والمجتمعات المكذّبة حين تصف الرسل بهذا فهي إنما تروم تقويض دعوتهم، وهدمها من أساسها؛ إذ النبوة تربط وجوب التكليف بـ(العقل) المدرك لمراد الله تعالى وتشريعته، والقادر على تنزيله في الواقع. وبما أن (النبوة) نفسها درجة عليا من درجات التلقي: فهما وتكليفاً وتبليغاً؛ تحتاج إلى قوة البدن، وقوة النفس، وقوة الإرادة، وزيادة العلم، فإن حاجتها إلى صحيح العقل أكد، ولذلك قرن القرآن الكريم بين قوة السند في تلقي الوحي عن الله بنفي الجنون عن النبي محمد ﷺ في سياق واحد، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَنْزَلْنَاهُ نَزْلَ الْهَبْلِ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢٩].

قال الشيخ عطية محمد سالم^(١):

(١) الشيخ عطية محمد سالم: من كبار تلاميذ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ومن

« كان القرآن الذي جاء به مصوناً من أن يتسلط أحد عليه فيغيره، ومن أن يغيره الذي جاء به، وهذا كله بمثابة الترجمة لسند تلقي القرآن الكريم. وقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ بيان لتتمة السند، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (٣٣) ﴿وَمَا هُوَ عَلَى أَغْيَبٍ بِصِينٍ﴾ (٢٤) فنفي عنه ﷺ نقص التلقي بنفي آفة الجنون، فهو في كمال العقل وقوة الإدراك، ومن قبل أثبت له كمال الخلق: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. وأثبت له اللقيا، فلم يلتبس عليه جبريل بغيره، وهي أعلى درجات السند، فاجتمع له ﷺ الكمال الخلقى والكمال الخلقى - بضم الخاء وكسرها - أي: الكمال حساً ومعنى، ثم نفى عنه التهمة بأن يضمن بشيء مما أرسل به مع نفاسته، وعلو منزلته، وجيل علمه، وأنه كلام رب العالمين... وإلا فأيّن تذهبون؟! أين تسIRON عنه، بعد أن ثبت لكم سنده ومصدره؟. ونظير هذا السند في تمجيد القرآن وإثبات إتيانه من الله، قوله تعالى في أول سورة النجم: ﴿ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (٢) ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٣) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٤) ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدٌ الْقُوَىٰ﴾ (٥) ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ (٦) ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ (٧)» (١).

أعلام المدرسين بالمسجد النبوي، وله حلقة معروفة باسمه، ممن جمع بين علوم: الأصول والفقه والحديث والتفسير والسيرة واللغة. أكمل تفسير أضواء البيان لشيخه الشنقيطي، توفي عام ١٤٢٠هـ.

(١) مما كتبه الشيخ عطية محمد سالم تتمة على كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن = بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، نشر ملحقاً بكتاب أضواء البيان، د. ن، ط ٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م (٧٦-٧٤/٩).

وبما أن النبوة صلةٌ بإله يشرع وبلاغٌ عنه؛ فإن اتهام الأنبياء بالجنون، يحمل في ذاته رفضاً لكون الوحي من جهة عليا سماوية، لها الحق في أن تقول؛ فتهدم، وتُغيّر، وتشرّع، وتعيد بناء الحقيقة في المجتمع، وصياغة نظمه، ومعارفه وتعيين مصادرها. ووصفُ النبوة بالجنون يقصرها على كونها هذات وضلالات، أو وحيّاً داخليّاً لاحقيقة له، أو حديثاً داخليّاً مصطنعاً في أسهل الأوصاف. وهذا يقتضي الطعن في الحقائق التي جاءت بها. فالقدح في كمال العقل: قدح في الخبر، كما هو قدح في التلقي نفسه، وإلغاء للنبوة..

ولعلّ ما سوّغ هذا الاتهام وجعله مقبولاً لدى كثير من الناس - على الرغم من أن كلام المجانين وسلوكهم مضطرب؛ أو بعبارة العراف اليماني: «إن كلام المجانين متفاوت غير مستقيم، وما يشبه ابن أخيك المجانين بوجه من الوجوه»^(١) - أن الأنبياء عليهم السلام خالفوا مجتمعاتهم في عاداتهم، «والمجنون عند الناس من يسمع ويسب ويرمي ويحرق الثوب، أو من يخالفهم في عاداتهم فيجزيء بما ينكرون، ولذلك سمت الأمم الرسلَ مجانين لأنهم شقوا عصاهم فناذوهم وأتوا بخلاف ما هم فيه»^(٢). قال ابن القيم: «وأكثر الخلق إنما يكونون من الجانب الآخر ولا سيما إذا قويت الرغبة والرغبة، فهناك لا تكاد تجد أحداً في الجانب الذي فيه الله ورسوله بل يعده الناس ناقص العقل سيء الاختيار لنفسه، وربما نسبوه إلى الجنون.

(١) أبو القاسم بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين (ص ٣٤).

(٢) أبو القاسم بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين (ص ٣٠).

وذلك من مواريث أعداء الرسل فإنهم نسبوهم إلى الجنون لما كانوا في شق وجانب، وكان الناس جميعاً في شق وجانب»^(١).

فالأنبياء -عليهم السلام-، عند أعدائهم -ضعفاء العقول: انحرفوا عن حد الاستواء المعروف في مجتمعاتهم، الذي ينبغي أن يؤثر، واختاروا ما لا يُختار، ورغبوا إلى ما لا يُرغب فيه. وهنا تتداخل الصورتان: المرضية للجنون والصورة الاجتماعية -الثقافية، وتلتبس، فتأخذ الثانية أحكام الأولى وتسقط صفات الأولى على الثانية!

وتأمل ما يحكيه القرآن الكريم عن اضطراب الأمم في وصف الرسل يؤكد هذا الفهم؛ إذ يشير إلى اعتراف كبارهم وسادتهم بوجود قدرات غير عادية لدى هؤلاء (الأنبياء عليهم السلام) تؤثر وتغير! واجتهدوا في الكشف عن أسبابها من خلال خبراتهم ومعارفهم، التي تحفظ عليهم أنظمتهم ومكاسبهم. فخرّجوها على ما أُلّفه الناس من وجوه تصرف عن اعتقاد النبوة، فالآية -نفسها- تجبر عن انقسام الأمم حيال وصف المرسلين إلى وصفين: فتارة تصفهم بالسحر، وتارة تصفهم بالجنون! وذلك ينبىء عن رؤية ذات مستويين لواقعة النبوة والأنبياء، تستشعرها تلك الأمم تجاه النبوة وخطابها:

في أحد المستويات: ترمق النبي نفسه وأقواله وسلوكه، وما

(١) كتاب الفوائد، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، السعودية - مكة المكرمة، ط ١، ت ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م (ص ١٦٧).

يبث من قيم، وما يُشرِّع من دين (خطاب النبوة)؛ فجاء الوصف بـ«الجنون» مطابقاً لمستوى النظر - بحسب زعمهم ...

وفي الآخر: تهتم بقدرات الأنبياء ونتائجها (أثر الخطاب النبوي)، فجاء وصف النبوة بالسحر والنبى بالساحر. والسحر: اسم لما خفي سببه، وصعب استنباطه على أكثر العقول. وحقيقته: التأثير في الناس على نحو خفي؛ فيسحر العقول، وتنقاد إليه النفوس بخدعة وتعجب واستحسان، فتميل إلى الإصغاء إلى الأقوال والأفعال الصادرة عن الساحر^(١).

ولو رجعنا إلى سياق الخصومة بين الأنبياء عليهم السلام ومجتمعاتهم في القرآن الكريم، لألفينا القرآن الكريم يسوق تهمة الجنون من خلال مستويين:

الأول: مستوى التهمة مجردة.

الثاني: مستوى التهمة مقترنة بإحدى الصفات: (شاعر - ساحر - كاهن - مُعَلِّم)، بالإضافة إلى اتهامات أخرجت غير مقترنة بالجنون، لكنها صفات لا يمكن إغفالها لصلتها بالسياق نفسه الذي جاء فيه استخدام الجنون، وهو سياق نبز الأنبياء ووصف النبوة من قبل الأمم المكذبة، وهذه الأوصاف: (كاذب - كذاب - أشر

(١) ينظر تعريف السحر: حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت، ط ١، د. ت. (٢/ ٩٨٠)، وصديق حسن القونوجي: أبجد العلوم: الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم (٢/ ٣١٨).

- يُعلمه بشر - اكتب أساطير الأولين - أعانه عليه قوم آخرون).
 وإذا قدّم ذلك الدليل بأن النبوة لم تكن شيئاً واضحاً - بادئ الأمر - عند الأمم المكذبة، ومنهم العرب، ما جعلهم يضطربون فيها، كما وصف القرآن الكريم^(١)، فإن ورود الجنون ضمن هذا السياق من الأوصاف - وهي جميعاً صفات لأناس ذوي قدرات غير عادية في نظر تلك المجتمعات التي تلقت الوحي ابتداءً - يؤكد ما ذكرناه آنفاً؛ لأنه يدل على أننا بإزاء جنون أزعج تلك المجتمعات، واستنفر قواها لمناهضته^(٢)، وليس هو بالجنون السلبي: الصامت، المنعزل: الغارق في أفكاره.

هذه الأوصاف المتباينة: أوصاف تتنافى - ولا شك - مع دلالة الجنون السلبية، التي تكاد تستغرق تصورنا السائد اليوم، لكنه ليس كذلك بالنسبة لتصور العرب الجاهليين؛ وهو تصور غير بريء من نسبة شيء من القدرة الحارقة والدهاء إلى المجنون. فالجنون - بحسب ما يحكي القرآن عنه - حالة اختلاف ثقافي مشتمل على مصادر معرفية خاصة تصنعه في حالة من القدرة، والقوة المتمردة، المخالفة للناس، المتعالية على الفهم، القاهرة المؤثرة؛ سواء استمدتها من ذاته، أو من قوم يعينونه، أو من معلّم، أو من أثاره من علم، أو

(١) قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥]، ﴿إِنَّكَ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات: ٨]، ﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبا: ٣].

(٢) مما حكاه القرآن الكريم عن مشركي العرب في هذا الصدد، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَاعِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَلَبَّؤْنَ﴾ [فصلت: ٢٦].

من رئيه من الجنّ الذي يوسوس له، فهو:

- ذو قول مسكون بالغواية وتداخل الحقيقي بالمتخيل، مسكون بالجمال حدّ استلاب عقول السامعين العقلاء.

(شاعر)

- ذو قوة وسلطة خفية تغير؛ تجمع وتفرق، وتؤثر في الأشياء، وتقلب الحقائق رأساً على عقب، وتصنع عالماً عجيّباً، دون منطق معروف.

(ساحر)

- ذو علم خارق بالمغيبات والخوافي والبواطن؛ لوجود من يمدّه من القوى الخفية، وهو ذو سلطة على ضمائر البشر، وفضح أسرارهم.

(كاهن)

- ذو قدرة زائدة على تغيير الوقائع واختراع العلاقات.

(كذاب)

- ذو مدد خارجي أو داخلي، يستمدّ قصصه وأخباره من: رئي يعرض له، أو يستمدّها من أساطير الأولين التي تملّى عليه بكرة وعشياً، أو من بشر يعينونه على ما يقول، أو أنّ هناك من يُعلّمه.

(معلم مجنون - يعلمه بشر - وأعانه عليه)

قومٌ آخرون - أساطير الأولين اكتبها)

- ذو قوة وقدرة يسخرها في صرف الناس عمّا يعتقدون، وتغيير

ما يحترمونه من القيم.

(أشْر)

فالجنون الذي يرمى به الرسل إذن - ومنهم محمد ﷺ - جنون ذو قدرة على الفعل! له حضوره المؤثر، وخطابه المضاد المخالف لما هم عليه؛ مما سَوَّغ لهم وصفه بالأشْر^(١)، وليس - كما قد نتوهمه - تهمة مجردة من دلالات الغرابة المنطوية في ذاتها على قوة وقدرة، وقهر وسلطان؛ ولو نافت في نوعها نوع النبوة. ولذلك ينبغي أن تعزل تلك القدرات الغريبة وتمنع من تغيير الواقع، عن طريق حصرها في/ ربطها بـ (الجنون)، أو نبذها إليه لأنها برغم ما تنطوي عليه من قدرة وإبهار خارج إيقاع النظام المستقر.

وبسبب من ذلك وجدنا القرآن الكريم يعرض لمسألة تقرير القدرات العقلية للنبي محمد ﷺ من خلال تقرير أمرين أذهان

(١) جاء هذا الوصف في حق نبي الله نوح، وهو ممن وصف بالجنون وازدجر، أي: منع وحجز؛ قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَلِكُ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾﴾ [القمر: ٢٥-٢٦]. وقد جاء في بعض الآثار ما يؤكد إقتران الجنون بصفة الشر، ومنه ما روي عن أم سلمة ؓ أنها قالت: حدثني أم ابن صائد: أنها ولدت مسوخاً مجنوناً مشروراً... وإنما يوصف الشيء بالشر حينما يكون مضاداً لما يعتقد الإنسان من قيم خيرة؛ والشر بمعناه الأخلاقي: «يقال لما يكون موضع استهجان، أو ما يكون موضع رفض من الإرادة».

عمر بن شبة النميري، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: محمد فهم شلتوت، طبع = على نفقة: حبيب محمود أحمد، السعودية - المدينة المنورة، ط ١، ١٣٩٩ هـ (٢٠٢٠)، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الفلسفي (ص ١٠٢)، ومراد وهبة، المعجم الفلسفي (ص ٣٨٥).

المتلقين، يضادان ما يشيع من وصف المكذِّبين له بالجنون، وهما:

- الإشادة بخلقه العظيم، قال تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٢-٤]، لأنَّ: «الأخلاق الحميدة والأفعال المرضية كانت ظاهرة منه، ومن كان موصوفاً بتلك الأخلاق والأفعال لم يجز إضافة الجنون إليه»^(١). وقد تقدّم أنَّ ابن جزي جعل من لوازم خطاب الله تعالى للنبي ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] الشهادة له بـ: «وفورة العقل وصحة الفهم»^(٢).

- تركية ما تكتنزه دعوته (النبوة) من فضيلة وصدق، من خلال ربطها بسياق آخر غير ما يُجِلُّ المكذِّبون وغير ما يعتقدون (= غير سياق النظام الذي يحكمهم)؛ فوصفها بأنها:
 - من حيث هي في ذاتها: دعوة جاءت بالحق^(٣).
 - وأن النبي محمدًا ﷺ لم يكن بدعاً من الرسل (شاذاً فيما يدعو إليه)، بل جاء مصدقاً لما بين يديه من النبوات والأنبياء^(٤).

(١) محمد الرازي، التفسير الكبير: مفاتيح الغيب، دار الفكر للنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، ط ١، ت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م (١٣/٨٠).

(٢) محمد بن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٤٧٢).

(٣) قال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الصفات: ٣٧]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْرَهُم لِلْحَقِّ كِرْهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المؤمنون: ٧٠].

(٤) قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكْفُرُ إِنِّي أُنذِرُكُمْ إِلَّا مَا آتَىٰ بِرُوحِي إِلَيْكَ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الأحقاف: ٩].

ومن ثمّ فهو في نفسه ﷺ وفي سلوكه، وفي علاقته بمجتمعه: عاقل تام العقل؛ لأنه: على خلق عظيم، ولأنه في دعوته وخطابه ليس مبتدعاً حياة جديدة ولا قيماً مستحدثةً، بل هو نبيٌّ بين أنبياء، يحمل الحقّ والهدى، ويروم - بإذن ربه - إرجاع المجتمعات التي انحرفت عن الجادة إلى استوائها السابق على الصراط المستقيم.

ولخطورة هذا الوجود المتمرد (النبوة) على الأنساق المتحكمة في إنتاج القيمة والحقيقة ومن ثم سيرورة الحياة الثقافية بشكل عامل في المجتمع آنذاك؛ فإنّ تشتت الانتباه عن متابعته، وإحالة خطابه إلى اللغو والعبث^(١)، وحصره داخل (الجنون)، يمثل الحل الثقافي الأنسب لتلك المجتمعات الراضية والخائفة - في الوقت نفسه - على أنظمتها، لأنّ الجنون - من جهة - يسقط عدالة هذا الوجود المتمرد عليها - ومن جهة أخرى - يكفيها مؤونة الجدل والرد. وهما غير مأمونين دائماً ولا سيما حين يكونان في مواجهة مكشوفة للناس مع من يوصف - بحسب ما يروجون - بقدرات كبرى، فهو يجمع بين بلاغة الشعراء، وعلم المعلمين، ورئي الكهان، وتمويه السحرة وتأثيرهم^(٢)، وما ذاك إلا لأنهم - برغم مخالفتهم

(١) مما حكاه القرآن الكريم عن مشركي العرب في هذا الصدد، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]. وكان النَّصْر ابن الحارث يجمع الناس ويصرفهم عن استماع القرآن يحدثهم من أحاديث الفرس والحبس.

(٢) المعرض هنا معرض اعتقاد المجتمعات الراضية للنبوة والخائفة من خطابها، = ومعرض ما يودون إشاعته عن الأنبياء. والأنبياء عليهم السلام بريئون من

للقيم حولهم - يملكون منطقاً متكاملًا جديرًا بالتأمل بل الاتباع. ولذلك نبه القرآن الكريم إلى سطوة الجماعة على الأفراد فدعا نبيه إلى أن يدعوهم إلى التفكير خارج سياق هيمنة سادتهم وكبرائهم، وخارج سلطة النظام الذي يدفعهم دفعاً إلى الإعراض عن الحق؛ ولو كان في متناول أيديهم، وهذا يكون بالخروج على سياق التفكير الجماعي الذي (يعقل المعرفة) في الأنظمة الاجتماعية إلى حالة الفردية والاستقلال؛ حيث يستطيع الفرد أن يبحث عن علاقات جديدة، ويقف على الحقيقة المغيبة بفعل سلطة التفكير السائد. قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرْدَى ثُمَّ أَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

هذه التهم، وهم مؤيدون بقدرة تفوق قدرة هذه النماذج البشرية غير العادية.

مفهوم الجنون في السنة النبوية

في السنة النبوية يستخدم الجنون للدلالة على معنيين:

الأول: ضد العقل التكليفي؛ أي: المتصل بوجوب التكليف، وهو: التمييز الذي يعرف به الإنسان معنى الأمر والنهي ويفترق به عن الحيوان^(١). حيث يدل الجنون على غياب القدرة العقلية التي يكون بها الإنسان قادراً على فهم الشرع، ومعرفة الأمر والنهي، وتحصل به الإرادة للفعل (= النية). وفي هذا المعنى جاء الحديث المشهور: «رُفِعَ القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يَعْقِلَ أو يَفِيقَ»^(٢).

فالجنون بهذا المعنى مانع من موانع التكليف، لانتفاء القدرة على الفهم، والإرادة على جهة القصد؛ الذي يرجو به الإنسان وجه الله

(١) ينظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (١٨/٣٠-١٩).
 (٢) محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، مصر - القاهرة، ط١، ت١٣٧٢هـ-١٩٥٢م (١/٦٥٨)، برقم (٢٠٤١). وأحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط١، ت١٤٢١هـ-٢٠٠١م (٥/٢٦٥)، برقم (٥٥٩٦).

وثوابه، فإن الأعمال العبادية مرهونة بالنية، وهي إرادة رضوان الله وثوابه. وهو ما يمكن فهمه من قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(١). لأن من شروط التكليف أن يكون المكلف قادراً على فهم النص الشرعي، وهو خطاب «وخطاب من لا عقل له ولا فهم محال. والقدرة على الفهم تكون بالعقل؛ لأن العقل هو أداة الفهم والإدراك، وبه يمكن الامتثال»^(٢).

ولو تأملنا الحديث الذي استشهدنا به آنفاً لوجدنا ارتفاع التكليف والمؤاخذه الشرعية مرتبطاً بعقل ثلاث، هي: النوم، والصَّغر، والجنون، وكل هذه العلة تشترك في كونها غيباً للعقل؛ وإن تفاوتت في علاقتها بالإنسان.

وإذا توسعنا أكثر في فهم تلك الصور وجدنا المؤاخذه ترتفع عن صور أخرى تتصل بشكل أو بآخر بمستوى من مستويات غياب العقل، وهي: الجهل، والنسيان، وما استكره الإنسان عليه من فعل أو قول أو صمت، كما جاء في الحديث الشريف^(٣). كما

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري)، بإشراف: محمد زهير الناصر (طبعة مصورة عن النسخة الأميرية المطبوعة ببولاق) (٣/١).

(٢) د. وهبة الزحيلي، الوسيط في أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، سوريا - دمشق، ط ٢، ت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م (ص ١٦٥)، وينظر: د. أحمد الخخصوصي، الحمق والجنون في التراث العربي من الجاهلية إلى أواخر القرن الرابع (ص ٦٩).

(٣) قال النبي ﷺ: «تجاوز الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، دار الحرمين للطباعة والنشر، مصر - القاهرة، ط ١، ت ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م (٢/٢٣٦)، برقم (٢٨٦٠)، =

أنه لا قبول من حيث المجازاة الشرعية والثواب لعمل بلائية ولو كان صواباً، لعدم تحقق المقصدية فيه. لأن إدراك معنى الفعل ومقصديته، وارتباط وقوعه بإرادة ذاتية واعية، على وجه معين، وغاية محددة، حالة من حالات العقل، وغيابها غياب عن مستوى من مستوياته.

أمَّا المعنى الثاني للجنون؛ فهو: أقرب إلى المعنى الذي ورد في القرآن الكريم آنفاً، تبرزه/ تصنعه الثقافة، ويتمثل ذلك في الحديثين النبويين التاليين، وهما:

- روى أنس بن مالك وأبو هريرة رضي الله عنهما قالوا: «بينما النبي صلى الله عليه وسلم

جالس في أصحابه، إذ مر رجل فقال بعض القوم: مجنون؛

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنما المجنون المقيم على المعصية، ولكن هذا

رجل مصاب»^(١).

- وروي: «أنه صلى الله عليه وسلم رأى قوماً مجتمعين على إنسان، فقال ما

= ومحمد بن حبان البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق وتعليق:

شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط ١، ت ١٤١٢هـ -

١٩٩١م (٢٠٢/١٦)، برقم (٧٢١٩)، علق المحقق: الشيخ شعيب على

الحديث، فقال: «إسناده صحيح على شرط البخاري».

(١) علي بن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمر بن غرامة العمري، دار

الفكر، لبنان - بيروت، ط ١، ت ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م (١٥٩/٤٠)، والمتقي

الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتصحيح: بكرى حياي

وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط ٥، ت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

(٤/٢٦٥)، ٢٧٠ برقم (١٠٤٣٧، ١٠٤٥٣).

هذا؛ فقالوا: مجنون. قال: هذا مُصَاب! وإنما المَجْنُونُ الذي
يَضْرِبُ بِمَنْكِبَيْهِ، وَيَنْظُرُ فِي عَطْفَيْهِ، وَيَتَمَطَّى فِي مِشْيَتِهِ»^(١).

ففي الحديثين النبويين ينتفي حضور الجنون اسماً دالاً على المرض العقلي ويحل محله اسم «مصاب»^(٢) - ووصف «مصاب» ألصق في الدلالة على المرض العقلي من الجنون^(٣) - ويُحصر الجنون في مفهوم ذهنيّ تصنعه الثقافة فحسب. وهذا المعنى - برغم تحديده الظاهر - ذو طبيعة إشكالية إذ يفتتح على التأويل، بحسب تكوّن المعرفة وتراكماتها، وما يتصل بها من زمان ومكان، وبحسب الموقع الذي يتمّ من خلاله تلقي ما يوصف بالجنون. مما يجعل من الحمولات الدلالية للجنون واسعة ومتحررة ومتحركة، شأن النشاطات

(١) المبارك بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٣٠٩)، ومحمد بن منظور، لسان العرب (١٣/٩٧)، مادة (ج.ن.ن).

(٢) المصاب: من أصابته مصيبة، فلعله قيل: لمن في عقله فترة وضعف مصاب، والصابية: اسم من الإصابة كالجابة والإجابة، والصبية: الهيئة من صاب الشيء يصبو إذا نزل من علو إلى سفلى.

ينظر: محمد الجبائي، إكمال الإعلام بثلاث الكلام، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى، السعودية - مكة، ط ١، ت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م (٢/٣٧٠)، وإسماعيل الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية (١/١٦٥)، وعلي بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (٨/٣٨٧)، مادة (ص.و.ب).

(٣) قال الملا علي القارئ: «ما أحسن مقابلتها بالمصاب! فإنه المخطئ في فعله عن صوب الصواب، لكونه أصيب بأفة في عقله الخارج عن دائرة أولي الأبواب». شرح الشفاء للقاضي عياض، ضبطه وصححه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط ١، ت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م (١/٥٦٢).

البشرية/ الاجتماعية.

في النصين السابقين -مثلاً- يرتبط الجنون في الأول منهما بالدلالة الشرعية، أي: المعصية دون النزوع عنها جزئياً بالاستغفار أو كلياً بالتوبة (الإصرار على الإثم)، وهو ما عبّر عنه الحديث ب: «المقيم على معصية الله».

وفي الثاني تنحصر دلالة الجنون في المعنى الخُلقي، وهو: الكبر الذي تأتي الإشارة إليه من خلال بعض علاماته المائزة في المخيال العربي: يَضْرِب بِمَنْكِبَيْهِ^(١) - يَنْظُرُ فِي عِطْفَيْهِ^(٢) - يَتَمَطَّى فِي مَشِيَّتِهِ^(٣).

(١) كناية عن الاستخفاف بالشيء.

(٢) كناية عن إعجابه بنفسه، يقال: فلان ينظر في عطفه، إذا كان معجباً بنفسه. ينظر: علي بن محمد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل - تفسير الخازن (مهامشه تفسير محيي الدين بن عربي)، طبعة حسن الكتبي ومحمد الحلبي، ط ١، ت ١٣١٧هـ (٢/٣٢٦)، ومحمد بن دريد، جهرة اللغة (٢/٩١٤)، مادة (ط.ع.ف).

(٣) في القرآن الكريم ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ آهْلِهِ يَمَطَّى﴾ [القيامة: ٣٣]، قال المفسرون: يتختر افتخاراً، وأصله يتمطط، فقلبت الطاء فيه ياء، ومنه المشية المطيطاء، وهي مشية يكون فيها خيلاء.

ينظر: يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، لبنان - بيروت، ط ٣، ت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م (٣/٢١٢)، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق: سيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط ١، ت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م (ص ٥٠١)، ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل - تفسير البيضاوي، إعداد: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي/ مؤسسة التاريخ العربي، لبنان - بيروت، ط ١، ت ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م (٥/٢٦٧).

كما يأتي الجنون في نص آخر يُروى عن النبي ﷺ وصفاً لنقيض الموصوفين به في الحديثين السابقين، وهذا جزء من طبيعة الجنون المتحرّفة، والنص هو:

«اذكر الله كثيراً؛ حتى يقولوا: مجنون»^(١)

إنّ العلاقة بين الفرد والدين الإسلامي تنشأ على أساس من أعمال العقل. ولكنها تلتبس في مستوى من مستويات الشعور الجمعي / العقل الجمعي^(٢) - الذي يشكل وعي أكثر الناس - بحالة الجنون، لأنها تدفع الفرد إلى شيء من الاستقلالية (=العزلة)، وتصرفه عما ينشغل به الكثرة ويطلبونه من أمور المعيشة وزينة الحياة الدنيا؛ فالاختلاف هنا راجع إلى أنّ الوصف بالجنون صادر من موقع ثقافي يرتن لقيم مغايرة لقيم النبوة، وهو موقع: أكثر الناس الغافلين الساهين؛ مما جعله يتناقض مع الحديثين السابقين. لكن

(١) الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین (١/٦٨٣)، برقم (١٨٩١). ومحمد ابن حبان البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (٣/٩٩)، برقم (٨١٧).
(٢) نقصد به: «الوحدة الذهنية للجماعة، التي تتمثل في المشاعر والمعتقدات والآراء وغيرها من التصورات الجماعية، أي: بعبارة أخرى: الثقافة الاجتماعية التي تسود الجماعة». وترجع فكرة نشأة العقل الجمعي - الجماعي إلى العلماء الفرنسيين، فقد آمن بها جوستاف لوبون ودوركايم وليفي بربل. ويحيل هذا المصطلح عند دوركايم إلى «نسق محدد من المعتقدات، والمشاعر العامة، لدى أعضاء المجتمع».

د. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، لبنان - بيروت، ط ١، ١٩٧٧م (ص ٣٩٠)، ود. مصلح الصالح، الشامل: قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية (ص ٩٨، ١١٥).

استحضار سبب الوصف بالجنون وموقعه، يجعل التناقض ظاهرياً فقط. فالثقافة بطبيعتها متغيرة ومتنوعة، ومن خلالها تتأسس مواقع التلقي، ويتشكل مستوى التفاعل وطبيعته؛ ومن ثم يتعين الجنون في مقابل المعروف - والمشهور، الذي يُؤوَّلُ بـ (العقل). وإلا فإن ذكر الله - عند الدَّاكرين - دواءً الجنون كما قال أبو مسلم الخولاني^(١).

ومن المنسوب إلى النبي ﷺ: «أكثر أهل الجنة البُله»^(٢)، فلا يُراد بالبُله الذين لا عقول لهم^(٣)، لكن يراد به: البُله عند أهل الدنيا؛ لقلة

(١) «كان أبو مسلم الخولاني كثيرَ الذكر، فرآه بعضُ الناس، فأنكر حاله، فقال لأصحابه: «مجنون صاحبكم؟! فسمعه أبو مسلم، فقال: لا يا أخي، ولكن هذا دواءُ الجنون».

ينظر: عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: د. محمد أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر - القاهرة، ط ٢، ت ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م (٣/١٢٩٣)، وأحمد البيهقي، الجامع لشعب الإيمان (٢/١٧٧-١٧٨).

(٢) محمد بن سلامة القضاعي، مسند الشهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط ٢، ت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م (٢/١١٠)، برقم (٩٨٩، ٩٩٠)، أحمد البزار، البحر الزخار (مسند البزار)، تحقيق: عادل سعد، مكتبة العلوم والحكم، السعودية - المدينة المنورة، ط ١، ت ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (١٣/٣٢-٣٣)، برقم (٦٣٣٩)، والقاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة/ دار التراث، تونس/ مصر - القاهرة، ط ١، ت ١٩٧٧م (٢/١٣٣)، والمتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (١٤/٤٦٧)، برقم (٣٩٢٨٣).

(٣) قال ابن الأثير: «فَأَمَّا الْأَبْلَهُ وَهُوَ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ فَغَيْرُ مُرَادٍ فِي الْحَدِيثِ». النهاية في غريب الحديث والأثر (١/١٥٥).

اهتمامهم بما يهتم به أهلها، وهم أكياس في أمر الآخرة^(١)، قال أبو جعفر الطحاوي: «ذكرت هذا الحديث لأحمد بن أبي عمران، فقال: معناه معنى صحيح. والبله المرادون فيه، هم: البله عن محارم الله عز وجل، لا من سواهم ممن به نقص العقل بالبله»^(٢). وسئل الأوزاعي عن معنى الأبله في الحديث؟ فقال: «الأعمى عن الشر البصير بالخير»^(٣).

ولذلك قال الحسن البصري يصف من لقي من الصحابة: «أدركنا أقواماً لو رأيتهم لقلتم مجانين! ولو رأوكم لقالوا شياطين!»^(٤). وسأل الخليفة عمر بن عبد العزيز السائب بن يزيد:

(١) ينظر: محمد بن فتوح الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين: البخاري ومسلم، تحقيق: د. زبيدة محمد عبد العزيز، مكتبة السنة، مصر - القاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (ص ١٩١)، وإسماعيل الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية (٦/٢٢٢٧)، ومحمد بن منظور، لسان العرب (١٣/٤٧٧)، ومرضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (٣٦/٣٤٣)، مادة (ب.ل.ه).

(٢) أبو جعفر الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق وتعليق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م (٧/٤٣١-٤٣٢).

(٣) أحمد البيهقي، شعب الإيثار (٢/٤٩٩).

(٤) محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة، لبنان - بيروت، ط ٢، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م (٢/٧٩). قال المناوي: «مهما سمعت أمراً غريباً من أمور الدين جحدته أهل الكياسة، أو في سائر العلوم؛ فلا ينفرنك جحدوهم عن قبولها؛ إذ من المحال أن يظفر سالك طريق الشرق بما يوجد في الغرب، فكذا جرى أمر الدنيا والآخرة فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين، لا يكاد يتيسر إلا لمن سخره الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم، وهم الأنبياء المؤيدون بروح القدس. أما قلوب غيرهم فإذا اشتغلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وعكسه».

«هل رأيت أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يأتزر الرداء، أو يرتدي الرداء، ثم يخرج؟ قال: نعم! قال: لو صنع ذلك أحد اليوم لقيل: مجنون!..»^(١). وكذلك قول نافع مولى عبد الله بن عمر: «لو نظرت إلى ابن عمر؛ إذا تبع أثر رسول الله لقلت: هذا مجنون»^(٢)، و«قال: كان ابن عمر يتبع آثار رسول الله ﷺ ويهتم بها، حتى خيف على عقله»^(٣)! وغيره كثير، وذلك راجع لاختلاف القيم التي يرجع إليها كل فريق. وهم عرب يجرون في استخداماتهم وتعبيرهم على مجرى العرب في كلامهم.

-
- (١) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م (مصورة من طبعة دار السعادة، مصر - القاهرة، ط ١، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م) (٥/٣٦٠-٣٦١).
- (٢) شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان - بيروت، ط ١، ت ١٤١٠هـ-١٩٩٠م (٥/٤٥٨-٤٥٩).
- (٣) محمد بن المظفر البزاز، غرائب حديث الإمام مالك بن أنس، تحقيق: رضا الجزائري، دار السلف، السعودية - الرياض، ط ١، ت ١٤١٨هـ-١٩٩٧م (ص ١٨٣-١٨٦)، برقم (١١٥، ١١٦).

الجنون فهم ثقافي / المفارقة للنظام

قد قدمنا فيما سبق بعض الشواهد، التي تؤكد حضور الوجه الثقافي في تشكيل مفهوم الجنون، وقوة الخطابات السائدة في تشكيل المعرفة والقيمة، وشراستها العظيمة في المحافظة عليها بأسلحتها الخفية البليغة اللطف، ولا يكاد ينجو منها أيّ طارئٍ يخالف مهما كانت حجته، ومهما بلغ تماسكه. ويمكن أن أروي الأثر التالي، الذي يؤكد ما تراه الدراسة؛ فقد روي عن علي بن أبي طالب:

«أَنَّ رجلاً خاصم إليه أبا امرأته، فقال: زوّجني ابنته، وهي مجنونة! فقال: ما بد لك من جنونها؟ فقال: إذا جامعتها غشي عليها! فقال: تلك الرّبُوخُ! لست لها بأهل»^(١).

يقصد أن تلك صفة حسن في المرأة، وليست صفة تستوجب

(١) ينظر: عبد الرحمن بن الجوزي: غريب الحديث، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط ٢، ت ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (٣٧٣/١)، وجار الله الزمخشري، الفائق في غريب الحديث (٢/٢٩)، والمبارك بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/١٨٢).

الشكاية! فالرُبُوخ من تَرَبَّخ في مشيه إذا استرخى، وربخت الإبل إذا فترت وكلت من السير في الرمل، وهو من الفتور والرخاوة^(١). قال الزبيدي: «أراد أن ذلك يحمد منها! وهي المرأة يُعشى عليها عند الجماع من شدة الشهوة... وقيل: هي التي تنخر عند الجماع وتضطرب كأنها مجنونة»^(٢). فكأن الزوج ربط بين ما يعرض للمرأة من فتور واسترخاء، أو غشية عند (الملامسة) وبين ما يعرض للمجنون من ذلك، لأن العرب تجعل من أبرز صفات المجنون: التخلع، والفتور، والغشية.

وسواء أكان سؤال علي عليه السلام للرجل عن حال المرأة التي حكم عليها بالجنون، نابعاً من إحساسه بسوء تصور الزوج وسوء حكمه، أم كان نابعاً من موقعه كقاضٍ، يستقصي أطراف الدعوى؛ فإن جواب الزوج سرعان ما تكشف عن جهل وخطأ. وذلك ما ينبىء عن تداخل كبير عند الزوج بين لحظات الجنون ومرجعيته، وتجليات العقل المغايرة لخبرته ومرجعيتها.

ونجد في نصوص كثيرة أن الشيء الغريب يُتلقى أول الأمر بصفته جنوناً، ثم قد ينتهي بفعل أو وصف خارجي أو دوام تأمل ومعاشرة إلى كونه عقلاً؛ مما يؤكد كون الشذوذ، والخروج على المعهود، والمستقر في وجدان الفرد - وهي مفاهيم ثقافية بالدرجة الأولى - جزءاً من فهم العرب للجنون، وأنه ليس هنالك من مرجع موضوعي محدد لما يمكن

(١) جار الله الزمخشري، أساس البلاغة (١/ ٣٢٩)، ومحمد بن منظور، لسان العرب (١٧/ ٣)، مادة (ر.ب.خ).

(٢) مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (٧/ ٢٥٤).

وصفه بالجنون؛ سوى كونه مروقاً، أو خروجاً على المعيار الثقافي للمجتمع، أو ما استقر في عرف الجماعة سواء أكان ذلك في العلوم والمعارف أم في الفنون والآداب أم في السلوك الاجتماعي. ومن جهة أخرى: يجعل عملية (تلقي الشيء) في ذاتها، وليس الشيء نفسه، هي الأساس الحقيقي لوصف الشيء بالجنون أو عدمه. كما أن المعيار المعتمد في تقييمه هو القيم السائدة المقبولة في المجتمع أو العرف.

ولعل هذا هو السبب المباشر في ثراء مصطلح الجنون، واتساع مجالات استخدامه ومستوياتها، وتنوع دلالاته في التراث العربي؛ بحيث تصح فيه تلك المقولة التراثية الرائجة، التي تزيده انطلاقاً وتحراً: «الجنون فنون»^(١)، إذ الجنون بهذا الفهم:

ممارسات فردية متحرّفة، في مقابل العقل الذي هو ممارسة جماعية مقننة، تسعى إلى صبغ المجتمع بالانسجام والتناسق. أي: إن الجنون خروج بشكل أو بآخر عن النظام^(٢)، أو إزعاج للهيئة الاجتماعية - كما قال ذات مرة الطبيب إدوارد زاريفيان^(٣).

(١) ينظر مثلاً: عبد الملك الثعالبي، خاص الخاص (ص ٢٢٠)، وبتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (٥ / ٢٥٧)، وعبد الوهاب السبكي، طبقات الشافعية الكبرى (٧ / ٨٢).

(٢) يقصد بالنظام: مجموع عناصر تؤلف كلا مستقلاً، وتكون مبنية على علاقات ترابط فيما بينها.

ينظر: د. إميل يعقوب ود. بسام بركة ود. مي شبيخاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، لبنان - بيروت، ط ١، ١٩٨٧م (ص ٣٩٠).

(٣) ينظر: مارتين آلان رينو، زارعو الجنون أو المجتمع والجنون: مقابلة مع الدكتور =

وأسوق نصاً آخر يؤكد ارتباط الجنون بعناصر ثقافية خارجية أكثر منها عناصر داخلية ضمن ما يعرف بالجنون، والنص يرويه ابن شبة بسنده في كتابه أخبار المدينة، قال:

«لبي علي عليه السلام بالحج والعمرة جميعاً، وعثمان عليه السلام يسير في موكبه. فقال رجل من موكب عثمان عليه السلام: من هذا الذي يلبي؟! إن هذا لأحمق أو مجنون!! فقالوا: هذا أبو تراب!! فسكتوا فما يدمدم إنسان»^(١).

فالفعل (= التلبية) بنسك التمتع، في نظر متلقيه: الرجل الذي في موكب عثمان بالنظر إلى ما يعرفه من حال الناس المجمعين مع إمامهم عثمان بن عفان عليه السلام على نوع واحد من النسك، وهو: الأفراد، أو القرآن: حمق أو جنون لا شك فيه، لأنه خرج عن هذه الحال من الانسجام والاتفاق^(٢)!

= إدوارد زاريفيان، إثر نشر كتابه: (زارعو الجنون)، ترجمة: هذرشي عبد الباقي، مجلة دراسات عربية، سنة ٢٥، العدد ٧-٨، أيار-حزيران/ مايو-يونيو ١٩٨٩ م (ص ١٣٣).

(١) عمر بن شبة النميري، تاريخ المدينة المنورة (٣/ ١٠٤٤).

(٢) هناك قول لبعض الصحابة عليهم السلام يذهب إلى أن نسك التمتع منسوخ، ولذلك يمنعون منه، ومن منع عمر بن الخطاب عليه السلام وعثمان بن عفان عليه السلام؛ فقد روي عن عمر أنه قال: «متعنتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أنهى عنهما، وأعاقب عليهما: متعة النساء، ومتعة الحج»، وروي عن عثمان عليه السلام أنه قال: «متعة الحج كانت لنا وليست لكم». يعني أنه رخصة خاصة بالصحابة وليس تشريعاً للأمم. وكان مروان بن الحكم يقول: «شهدت عثمان وعلياً، وعثمان ينهى عن المتعة، وأن يجمع بينهما، فلما رأى ذلك علي عليه السلام أهل بهما: لبيك بعمرة وحجة، وقال: ما كنت لأدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد»، ويدل ذلك على أن علياً كان مخالفاً =

ولهذا جاءت التعبير مؤكّداً بأكثر من مؤكّد: (إنّ، اللام)، فضلاً عما تحمله الجملة قبلها من استفهام يدل على: إنكار الفعل، أو التعجب والتوبيخ للفاعل على تجاوزه لحظة الانسجام والخروج على الاتفاق. لكن الإنكار والتعجب لم يلبثا أن يتلاشيا، فيخفت صوت الاتهام، ومن ثمّ تنتفي تهمتا الجنون والحمق؛ حين علم الرجل من حاشية عثمان أن الملبى فوق تحكيم عرفه الضيق، وفهمه الناقص. ولو كان الملبى غير علي عليه السلام لقامت التهمة واستمر الإنكار!

ومثل ذلك كثير في كتب الأخبار والسير: فقد وصّف أهل أويس القرني أويساً بالجنون، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلبه مدّة خلافته، ويسأل عنه الحجاج. ولما سأل عنه عمه: «قال: وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين؟! فوالله ما فينا أخف منه، ولا أجن منه، ولا أهوج منه! فبكى عمر، وقال: بك لا به! سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يدخل الجنة بشفاعته مثل ربيعة ومضر»^(١). فلما عرفوا مكانته وشهادة النبي صلى الله عليه وآله له بالغيب، طلبوه ليستغفر لهم، وعدوه ولياً^(٢).

= في هذه المسألة - ما عليه عامة الناس في العهدين العمري والعثماني، ولعلّ هذا هو مصدر تعجب الرجل.

لمراجعة النصوص السابقة، ينظر: البخاري، الجامع الصحيح (٢/٥٦٧)، وأحد ابن حنبل، المسند (١/١٣٥)، أبو بكر الجصاص، أحكام القرآن (٣/١٠٢)، و(٥/٧٥)، السرخسي، المبسوط (٤/٢٧)، وابن رشد القرطبي، بديّة المجتهد ونهاية المقتصد (١/٣٣٣-٣٣٦).

(١) المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (١٤/١٣-١٤)، برقم (٣٧٨٣٢).

(٢) ينظر خبره: عبد الرحمن بن الجوزي، المدهش، تحقيق: مروان قبّاني، دار الكتب =

ونجد أهل بستان يصفون أحدَ عابري السبيل بالنظر إلى: رثاة حاله، وغرابة سلوكه؛ الذي لم يألفوه بالجنون، فلما عرفوا أنه: إبراهيم بن أدهم عدلوا عن وصفه بالجنون إلى نعتة بالولي والزاهد، ورجوا بركة دعوته^(١)!

وفيما ساقته الدراسة من خبر ابن السراج، ووصفه بأنه: عَقَل النَّحْوَ بعد أن كان مجنوناً، ما يمكن أن نستشف منه الخيط الذي يفصل بين عالمي العقل والجنون - وهو بحسب ما ظهر لنا - يكمن في قدرة العقل نفسه (بوصفه نظاماً) على قبول أو فهم ما عرض له أو نظر فيه، وقدرته على تنظيمه وضبطه؛ إذ لا يتصور أبداً أن يُغيّر ابن السراج في بنية النحو العربي أو قوانينه، وكل ما هنالك أنه

= العلمية، لبنان - بيروت، ط ٢، ت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م (ص ٤٢٧)، وأبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، لبنان - بيروت، ط ٢، ت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م (٣/ ٢٢٢-٢٢٤)، وشمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان - بيروت، ط ١، ت ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م (٣/ ٥٥٥-٥٥٩)، والمتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (١٤/ ٨-١٤).

(١) ينظر: أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الاصفياء (٧/ ٣٩٢-٣٩٣). مما يجري على ذلك النص الآتي الذي يورده أبو جعفر الطحاوي في كتابه شرح معاني الآثار: «عن شعبة عن مغيرة قال: سألت إبراهيم عن الرجل يبدأ بيديه قبل ركبته إذا سجد؛ فقال: «أو يضع ذلك إلا أحق أو مجنون». شرح معاني الآثار، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط ١، ١٣٩٩ هـ (١/ ٢٥٦)، حديث رقم (١٤٢١)، إذ قد يفعل ذلك من ليس بأحق ولا مجنون، لمرض أو كبرٍ أو عادة، وقد رأيت بعض الأفاضل يصنعه لكبر سنه.

قد عمل على جعله شيئاً منظماً منضبطاً بأصول تلمّ شعته، وتؤلف بين متناثره، وتطمّن نفور آبه؛ بحيث تجعله مستأنساً مما يعني أن الجنون لم يكن شيئاً حالاً في النحو بقدر ما كان ماثلاً في النظر إليه، وفي القدرة على فهمه. فإن استطاع المرء (تنميط) ما يراه أو يسمعه، وفهمه فهو (عقل)؛ وإن لم يستطع فهو (جنون)؛ ولعلّ الجملتين التاليتين تساعدان على فهم ذلك:

- كان كل من شعبة بن الحجاج وأحمد بن حنبل يقولان:

«ما رأيت أحداً قط يعدو لإقلت: مجنون أو صاحب حديث»^(١).

- وقال الجاحظ:

«سمع الحجاج امرأة من خلف حائط تناغي طفلاً؛ فقال: مجنونة
أو أم صبي»^(٢)!

فالحجاج سمع كلام امرأة من دار قوم وفي كلامها تخليط وهذيان، فكان هذا عنده دليلاً على جنونها، إلا أنه اقترح حلاً

(١) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، السعودية - الرياض، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م (١/١٥٢)، الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد) (١٦/٤٧٧)، ترجمة رقم (٧٠٦٢).

(٢) البيان والتبيين (٣/٢٢٤). وقد روى الخبر نفسه في صدر رسالة له عن «المعلمين»، حيث قال: «وسمع الحجاج - وهو يسير - كلام امرأة من دار قوم، فيه تخليط وهذيان، فقال: مجنونة، أو ترقص صبيلاً». ينظر: الجاحظ، الرسائل (٣/٣٧).

آخر يمكن من خلاله قبول كلامها على علاته دون إخراجها من قيد العقلاء؛ وذلك بدفعها إلى نمط من الأنماط، التي يُمكن تقبُّلها (عاقلةً) من خلاله، وهو كونها أمّاً تناغي طفلها وترقصه، يقول الجاحظ:

«ألا ترى أن أبلغ الناس لساناً، وأجودهم بياناً وأدقهم فطنة، وأبعدهم رويّة، لو ناطق طفلاً أو ناغى صبيّاً، لتوخى حكاية مقادير عقول الصبيان، والشبه لمخارج كلامهم، وكان لا يجد بدأً من أن ينصرف عن كل ما فضله الله به بالمعرفة الشريفة، والألفاظ الكريمة. وكذلك تكون المشاكلة بين المتفقيين في الصناعات»^(١).

وكذلك الأمر بالنسبة لشعبة بن الحجاج وأحمد بن حنبل فلا حاجة تدعو المرء للعدو في أزقة المدينة (بغداد)؛ حيث لا غارة يخشى منها، ولا صيد يطلب، ولا سبق! ولا يفعل ذلك إلا مجنون لا يُسأل عن عمله، أو طالب علم يعدو ليحصّل روايةً أعلى سنداً عن شيخ يخشى فواتها عليه، أو ليقعد أولاً فيستشرف شيخه عن كتب، ويكون سماعه من قرب^(٢).

(١) رسائل الجاحظ (٣/٣٧).

(٢) علق د. محمود الطحان، محقق كتاب «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»؛ فقال: «المراد بذلك العدو في الأماكن العامة، وهذا لا يفعله إلا مجنون، أو شخص مشغوف بحب الحديث والحرص على حضور مجالسه، فربما عدل لثلاث يفوته المجلس».

ينظر: (١/١٥٢)، الهامش رقم: (٢).

وفي بيت القطامي التالي نجد هذا التردد بين عالمي الجنون والعقل:

يتبعن مائرة العينين تحسبها

مجنونة أو ترى ما لا ترى الإبل^(١)

فالإبل تتبع ناقته التي يصفها بأنها سامية العينين تنظر إلى الأماكن البعيدة، قوية لم يكسر لها طول السير، ذات فرط في النشاط والحركة. لكنه يتساءل عن سر نشاطها، وما تبدو فيه من المرح والعزيمة، ويجعل ذلك مسبباً عن الجنون، أو عن سبب آخر يفهمه العقل غير الجنون، وهو طلب الفوز بحظ ما، أو طلب النجاء من شيء تراه يتبعها دون أن تراه بقية الإبل! وطلب الفوز بمرغوب أو النجاة من مرهوب، نمط عقلي؛ لأن في الأول إسعاد النفس، وفي الثاني عصمتها من العطب.

وهذا يعني أن المسألة - في كثير من الأحيان - ليست بأكثر من نسبة الشيء من موقع مباين - وهو حضرة العقل هنا - إلى حظيرة الجنون، وهو ما تختزله مقولة ثقافية كئيبة الدلالة لابن الجوزي: «كل ما نسب إلى الجنون فهو جنون»^(٢)، فنحن إذن لا نتحدث عن حقيقة

(١) أبو زيد القرشي، جهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: ومحمد علي البجاوي، نهضة مصر، د. ط. ت، (ص ٦٥٠)، محمد بن طباطبا، عيار الشعر. تحقيق: عبد العزيز المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية - الرياض، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٤٠٥، (ص ٩١).

(٢) التذكرة في الوعظ: تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار ابن خلدون، مصر - الإسكندرية، د. ط. ت (ص ١٥٢).

محددة بقدر ما نتحدث عن نسبة شيء إلى شيء من موقع مغاير، أو تلقاً للآخر بمفهوم ثقافي بالنظر إلى معيار متحكم/ سلطة.

هذا المعيار صاغه بالضرورة العقل (في مرحلة وظرف وحاجة) من خلال قوانينه وأعرافه المتناسلة، التي بثها في المؤسسات المجتمعية والممارسات الثقافية التي تنتظم حياة العربي، وتشكل وعيه وقيمه، في سلسلة من التراكمات المتجانسة؛ لتسبغ على المجتمع حالة من الانسجام والتوافق والهوية الواحدة في مواجهة التشتت والتفكك والاضطراب والاختلاف، والجنون لا يظهر في العادة إلا في هذه المنطقة الحادة في علاقته مع النظام السائد! فالشيء لا يكون جنوناً في ذاته أو من ذاته! ولكن الآخر من واقع وعيه وقيمه هو الذي يسبغ عليه وصمة الجنون؛ فالنسبة فعل ثقافي. إذ يصبح الجنون بدون التفاعل (ا لتعجب - الرفض - الإنكار - الإقصاء) حالة مفرغة من معناها؛ مما يعني أن الحكم بالجنون شيء من اختصاص الثقافة بالدرجة الأولى.

وما دام الجنون صنيسة ثقافية بالدرجة الأولى، أي أنه يقوم على النسبة - كما يقول ابن الجوزي - فإنه يمكن أن يكون - من وجهة نظر أنطولوجية - تارة جنوناً ويمكن أن يكون تارة عقلاً؛ فالشيء الواحد يكون غيره بمقدار ما لا يكون نفسه والعكس بالعكس. وبهذا المعنى يكون كل واحد من معنيي الجنون (المرضي الخاص - الثقافي) وجهاً ثانياً للآخر، بل أكثر من ذلك إذ يمكن جعل المصطلح نفسه وجهاً آخر لنقيضه، أي وجهاً للعقل: أليس الجنون، وهو انحراف وتجاوز وغرابة وغموض وتمرد: تتبعاً/ إتباعاً لمنطق آخر، وأن ما سواه عبثٌ

وهذيان؟! أليس العقل، وهو اتباعٌ لتعاليم قيمة ومعرفية مقدمة، وإعراضٌ عن حقائق يعرفها ويمجدها ثمَّ يُعطّلها، أليس هو بذلك جنوناً من «منطق» مغاير؟!!

إنَّ غياب الجانب الموضوعي في وصف الجنون نفسه إلا من خلال التلقي الذي يحاول أن يتفرَّسه في حركته الدائبة متوسلاً إلى ذلك ببعض صفات خارجية ومظاهر فسيولوجية وأخلاقية ومعرفية وسلوكية؛ يتم تلقيها وتصنيفها بتباين شديد تحت مظلة الجنون؛ يجعل من الجنون بالضرورة حالةً متفلتةً غير محددة في ذاتها.

ولا ريب فهي ممارسات فردية شاذة، متجددة يصعب توقع حدّها؛ تشرع لنفسها بعيداً عن عوالم العقل ومواضعه المعترف بها، ومن ثمَّ يصعب التنبؤ بها وحصرها^(١)؛ ومن ثمَّ - أيضاً - جرى إطلاق اسم الجنون بشيء من التجوُّز، أو بشيء من الاضطراب - أحياناً - على أشياء كثيرة متباينة، هي إلى الاختلاف بل إلى التناقض - أحياناً - أقرب منها إلى الائتلاف.

مما يجعل من «الجنون» في وجهه الثقافي توظيفاً متحيزاً في أكثر

(١) عبر عن هذا الشاعر فقال:

إني لآمن من عدوِّ عاقلٍ وأخاف خلاً يعتريه جنونٌ
والعقل فن واحد وطريقه أدرى وأرصد والجنون فنونٌ

ينظر: محمد بن عرب شاه، فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، طبعة الآباء الدومنيكيين، العراق - الموصل، ت ١٨٦٩ م (ص ٣٩١)، والأب لويس شيخو اليسوعي، مجاني الأدب في حدائق العرب، (٣/ ١٢٩) ..

الأحيان لصالح النموذج العالم/ المؤسسي أيًا كان مجال حضوره وفاعليته (معرفيًا، سياسيًا، اجتماعيًا)، بصفته: سلاحًا لغويًا، وموقفًا اجتماعيًا، وتحيزًا معرفيًا، وقهرًا سياسيًا، يستبطن السلطة أيًا كان مصدرها (معرفيًا، سياسيًا، اجتماعيًا) لعزل المخالف/ المتجاوز/ المستغلق ونفيه؛ خارج دائرة العناية والاشتغال؛ أكثر من كونه وصفًا حقيقيًا لنقص في الكفاءة.

الجنون بما يحمله من معارضة ومغايرة واختلاف حالة ينبغي أن تظل معزولة عن الحضور من وجهة نظر المؤسسة، ومغيبية عن التغيير الذي لا يستحضر التراكم والموجود والرّموز؛ حتى لا تفككها وتبرز تناقضاتها، وحتى يحافظ البناء الثقافي على تناسقه وانسجامه الظاهر، وحتى تحتفظ خطاباته بقوتها وفاعليتها النابعة من تماسكه وسلطته. فـ«الجنون» وال«المجنون» يُجعل منها أداة مركبة تستبعد ما لا يتفق مع السياقات السائدة (الرئيسية والمهيمنة) في فضاءات السياسة والفكر والفن والاجتماع والسلوك.

والعجيب أن المؤسسة العالمية برموزها ومفاهيمها وخطاباتها الصاخبة، هي المخوّلة بإنتاج الجنون! وهي في الوقت نفسه التي تمارس على خطابه الهيمنة وآليات الإقصاء. هذه المدونة المنتجة لـ«الجنون» والمشتغلة والمنشغلة باستبعاد «المجنون» و«خطابه» ستكون محلّ عنايتنا في الصفحات التالية.

